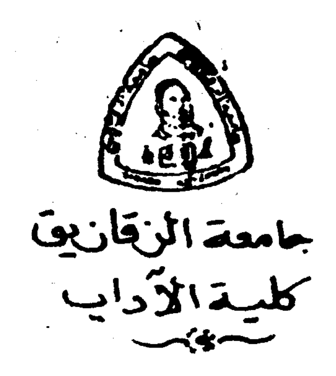


جامعة الزقازيق
كلية الآداب

دراسات
فى الشعر فى
العصرين الإسلامى والأموى

دكتور
عبد الحميد القط

الفهـــرس

العصر الاسلامي والأموي

يطلق العصر الاسلامي على الفترة الممتدة من ظهور الاسلام حتى سقوط الدولة الاموية سنة ١٣٢ هـ . وينقسم الى فترتين هما : فترة صدر الاسلام التي تبدأ بشروق فجر الاسلام على الجزيرة العربية وتنتهي بمقتل رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة سنة ٤١ هـ . وكما هو واضح يمتد هذا العصر من بعثة الرسول حتى وفاته ثم وفاة آخر خلفائه الراشدين . أما الفترة الثانية من ذلك العصر فهي عصر بني أمية الذي يبدأ سنة ٤١ هـ وينتهي بمقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة ١٣٢ هـ ، وقيام دولة بني العباس .

ويثير عصر صدر الاسلام جدلا بين الباحثين حول قيمة ما أبدع فيه من شعر ، فقد أشار بعض القدماء الى ضعف الشعر في هذا العصر . فقال ابن قتيبة متحدثا عن ضعف شعر حسان بن ثابت في الاسلام نقلا عن الاصمعي : " قال : الاصمعي : الشعر نكد بابه الشر . فاذا دخل في الخير ضعف ، هذا حسان (بن ثابت) فحل من فحول الجاهلية . فلما جاء الاسلام سقط شعره ، وقال مرة : شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر . فقطع متنه في الاسلام . لحال النبي صلى الله عليه وسلم . " (١)

وتابعهم في رأيهم هذا بعض المحدثين ، وعلى سبيل المثال الدكتور عبد القادر القط حيث يرى في سياق حديثه عن دور الفحول في العصر الجاهلي ، ودورهم بعد الاسلام : " وكأنما فرغ هؤلاء " الفحول " من

---

(١) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق احمد محمد شاكر ، الجزء الاول ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٠٥ .

تلك الرسالة الحضارية قبيل الاسلام ، فانقضى جيلهم وظل المجتمع العربى بضع سنوات ينتظر رسالة من نوع جديد تحقق للعرب تلك الوحدة التى كانت كثير من مظاهر الحياة فى الجزيرة العربية تنبىء بها ، وتستخدم تلك اللغة التى مكن لها هؤلاء الشعراء فى الارض كلى تحمل قيمها الروحية والحضارية الجديدة ٠

وكان لابد أن تمضى سنين أخرى فى ظل الاسلام حتى ينشأ جيل جديد تربى فى تلك البيئة الحضارية الجديدة بعد أن تبلورت سماتها واستقرت قيمها وتجاوزت مرحلة الانتقال الى مرحلة الاصالة ٠(١)

فى حين ذهب فريق من المحدثين الى انكار ضعف الشعر فى هذا العصر ، وقالوا انه انما اتجه وجهة جديدة تحكم ما أحدثه الاسلام فى الحياة العربية من تغيير جذرى فى شتى نواحى الحياة ٠ فيرى - مثلا - أستاذنا الدكتور شوقى ضيف أن الشعر لم يضعف فى صدر الاسلام ، مخالفا غيره من الباحثين ٠ وان كان لا يصرح برأيه هذا وانما يضمنه قوله : "٠٠ وأكبر الظن أنه اتضح كيف أن الشعر فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجرى على كل لسان ، ويكفى أن نرجع الى سيرة ابن هشام فسنرى سيولة تتدافع من كل جانب ، وحقا فيها شعر موضوع كثير ، ولكن حينما يصفى ويقابل ما ارتضاه ابن سلام وغيره من الرواة الموثوق بهم ، نجد أننا ازاء ملحمة ضخمة تعاون فى صنعها عشرات من الشعراء والشاعرات ٠ "(٢) فالشعر كثير وهو شعر جيد ما دام لم يشر الى صفة الجودة بالنفى ،

---

(١) دكتور عبد القادر القط ، فى الشعر الاسلامى والاموى ، دار النهضة العربية بيروت ، لبنان ، ١٩٧٦ ، ص١٣ ، ١٤ ٠

(٢) دكتور شوقى ضيف ، العصر الاسلامى ، الطبعة السابعة ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص٥٣ ٠

ولكن القضية قضية تنقية الشعر من المنحول على شعراء تلك الفترة •
ويتضح رأيه هذا من موقفه من شعر حسان في الاسلام فهو يرى أن شعر
حسان لم يضعف في الاسلام وانما دخله الانتحال وهذا سر ضعفه :
" •• والحق أن شعر حسان الاسلامي كثر الوضع فيه • وهذا هو السبب
فيما يشيع في بعض الاشعار المنسوبة اليه من ركاكة وهلهلة • لا لان شعره
لان وضعف في الاسلام كما زعم الاصمعي ، ولكن لانه دخله كثير من
الوضع والانتحال •" (١)

ولا خلاف في أن العصر الاموى (٤١ - ١٣٢ هـ) شهد تطورا واسعا
في نظم الشعر ، وظهرت به اتجاهات مختلفة وشعراء مجددون بالقياس
الى فترة صدر الاسلام •

وهناك من يطلق مصطلح العصر الاسلامي ، ويقصد به عصر صدر
الاسلام ليفرق بينه وبين عصر بني أمية • ولا يعني هذا عند هؤلاء
الباحثين أن عصر بني أمية لم يكن عصرا اسلاميا • فالواقع أن الاسلام
امتد في عصر بني أمية الى أقصى مدى له على الساحة الدولية المعاصرة
له • ولا تزال تلك التسميات والتقسيمات محل خلاف بين الباحثين الذين
يرى بعضهم أن تقسيم الادب الى عصوره الراهنة ، مثل العصر الجاهلي
والاسلامي والاموى ، والعباسي الاول والثاني وغيرها • لا يصور حقيقة تطور
الادب العربي فالعصور السياسية ليست حدودا فاصلة بين المراحل الادبية
المختلفة ، لان تطور الادب ليس من المحتم أن يرتبط بتغير العصور السياسية •
فالتأثيرات الادبية والثقافية بوجه عام قد تمتد من عصر الى عصر بصرف
النظر عن الاختلافات التي تحدث في أمور الحكم والسياسة ، وقد ذهب
كارلونلينو الى هذا الرأي • فبعد حديثه عن تقسيمات عصور الادب العربي
الى ستة عصور هي : العصر الجاهلي ، والعصر العربي الاسلامي

---

(١) دكتور شوقي ضيف ، مرجع سابق ، ص ٨١

(من ظهور الاسلام حتى سقوط دولة بني أمية ، والعصر العباسي الاول من ١٣٢ هـ — ٤٥٠ هـ ، والعصر العباسي الثاني من ٤٥٠ — ٦٥٦ هـ ، وعصر الانحطاط — كما يسميه — من ٦٥٦ — ١٢٢٠ هـ ، وعصر النهضة من ١٢٢٠ — العصر الحاضر) (١). يعقب على ذلك التقسيم بما يفيد تداخل العصور أي تداخل القديم مع الجديد الى أن يستقل الجديد ، فيقول : " ان هذه الحدود التي ذكرتها لكل عصر من الاعصر الست ليست الا حدودا صناعية اصطلاحية أثبتها على التقريب ، فان عصرا ما سواء من التاريخ السياسي أم من تاريخ الاداب والعلوم لا يحصر في مواعيد معينة بدقة" (٢) وبعد أن يؤيد رأيه هذا ببعض الامثلة يقول (٣) : " ولا يخالف ذلك ما يقع في سير الاداب فان أنواعها وفنونها بطيئة التحول تختلط في الاغلب الاساليب القديمة بالجديدة في عصر واحد • وتوازنت فيه مدة الى أن يأخذ الاسلوب الجديد في الغلب على القديم شيئا فشيئا •" (٤) ولكنه يرى أن هذا التقسيم ليس خال من الفائدة ، وهو كعلامات الطريق التي يهتدى بها الباحث (٥).

وقد ذهب طه حسين الى ما ذهب اليه كارلونلينو من أن عصور الادب ، أو بعبارة أخرى الظروف السياسية قد تؤثر على الادب ولكنها لاتؤدي الى قوته أو الى ضعفه في كل الاحوال ، فقد يكون ضعف السياسة حافزا لرقي الادب ، كما رأينا ذلك عند قيام الدويلات في العصر العباسي (٦)

---

(١) انظر كارلونلينو ، تاريخ الاداب العربية ، دار المعارف ، طبعه ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٥٧ — ٦٠

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٠ (٣) المرجع نفسه ، ص ٦١

(٤) المرجع نفسه ، ص ٦١ ، ٦٢ (٥) المرجع نفسه ، ص ٦٤

(٦) انظر طه حسين ، تاريخ الادب العربي ، ج ١ ، دار العلم للملايين بيروت ، طبعة ١ ، ١٩٧٠ ، ص ٣٧ — ٤١

ثم يقول : " فأنت ترى الحياة السياسية لا تصلح مطلقا لان تكون مقياسا للحياة الادبية ، وانما السياسة كغيرها من الموثرات ، كالحياة الاجتماعية ، كالعلم ، كالفلسفة تبعث النشاط فى الادب حينا ، وتضطر الى الخمول والجمود حينا آخر • فلا ينبغى أن يتخذ واحد من هذه الاشياء مقياسا للحياة الادبية • كما لاينبغى أن يتخذ الادب نفسه مقياسا لواحد من هذه الاشياء ، انما ينبغى أن يدرس الادب لنفسه وفى نفسه من حيث هو ظاهرة مستقلة يمكن أن توءخذ من حيث هى ، وتحدد لها عصورها الادبية الخالصة " (١)

ويتحدث الدكتور عبد القادر القط عن تداخل العصور التاريخية الحاسمة فيقول : " والصورة العامة للشعر فى صدر الاسلام تقوم على حقيقة حضارية معروفة ، هى أن هناك بالضرورة تداخلا بين فترات التاريخ الحاسمة وأنه لا يمكن أن يكون هناك حد فاصل بين فترة والتى تليها ، وبخاصة حين يتصل الامر بمقومات نفسية بعيدة الغور فى نفوس أصحابها ، أو بقيم فنية أصبحت تقاليد موروثة لا يمكن الخلاص منها فجأة أو الاهتداء الى غيرها من قيم جديدة " (٢)

وسنأخذ هنا بالتقسيم الذى ارتضاه كثير من الدارسين لهذا العصر الاسلامى بشقيه أى عصر صدر الاسلام ، وعصر بنى أمية • وقد كان عصر صدر الاسلام نهاية مرحلة من مراحل تطور الشعر العربى فى رأينا ، وبداية مرحلة جديدة • فقد استقرت للشعر الجاهلى تقاليد معينة فى بناء القصيدة ، وفى القيم التى يعبر عنها ، ولعل ما لاحظه ابن قتيبة عن بناء القصيدة ، وما ينبغى للشاعر أن يقوم به من وقوف على الاطلال

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٠

(٢) فى الشعر الاسلامى والاموى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٧

وغـزل ، ووصـف للرحلـة ثـم دخـول الـى الغـرض ، لدليـل علـى ذلك(١) .

ويشـير الدكتـور عبد القـادر القـط الى أن الضعـف الـذى لاحظـه الباحثـون علـى الشعـر فى العصـر الاسـلامى ، كـان قـد بدأ بمصيب الشعـر الجاهلـى قبـل الاسـلام . فيقـول : " علـى أننا نـود قبـل أن نمضـى فـى تفصيل الحديـث عـن موقـف هـؤلاء الشعـراء (يقصد شعـراء صدر الاسـلام) أن ننبـه الـى حقيقـة يغفلهـا أغلـب الدارسيـن فـى هذا المجـال ، تلـك هـى أن ذلك الضعـف الذى لاحظناه على الشعر الاسلامى كـان قد بـدأ فى الحقيقـة قبـل الاسلام لابعده . كـان قد انقضـى عصـر " الفحـول " ولـم يبـق منهـم الا الاعشـى الـذى مـات — كما تقـول الروايـة — وهـو فـى طريقـه الـى النبى ليمدحـه ويعلـن اسلامـه ولبيـد الـذى كـان قد بلـغ الستيـن وأوشـك أن يكـف عن قـول الشعـر . ولم يبـق عنـد ظهـور الاسـلام الا شعـراء يقلـون مجيـد فـى قصائـد مفـردة ولكنهـم لايبلغون شـأو هـؤلاء الفحـول " (٢)

ولمـا كـان عصـر صـدر الاسـلام قد شهـد فجـر الاسـلام وما أعقـب ذلـك من دعـوة ونضـال فـى سبيلهـا ، وهجـرة فـى سبيـل تلـك الدعـوة ، وما تلاهـا من غـزوات . فقـد ظهـر شعـر جديـد تأييدا لتلـك الدعـوة الاسـلامية الـتى صاحـب معاركهـا الحربيـة شعـر يدافـع عن قيـم المسلميـن ويـرد علـى هجـاء المشركيـن . وقد أدرك الرسـول صلـى اللـه عليـه وسـلم خطـورة شعـر المشركيـن فى التثبيـط عـن الدعـوة الاسلامية والتهويـن من شخصيـة نبيهـا نفسـه . فدعـا شعـراء المسلميـن الـى مواجهـة أشعـار الكافريـن بأشعـار ترد عليهـا وتدافـع عن الاسـلام ونبيـه الكريـم . يقـول ابن سـلام : " .. أن النبـى صلـى اللـه عليـه وسـلم لمـا قـدم المدينـة ، تناولتـه قريـش بالهجـاء ، فقـال لعبد اللـه بن رواحة: رد عـنى فذهـب فى قديمهـم وأولهـم ، فلـم يصنـع فى الهجـاء شيئـا . فأمـر

---

(١) الشعر والشعـراء ، مرجـع سبق ذكـره ، ص ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦

(٢) فى الشعر الاسـلامى والاموى ، مرجـع سابق ، ص ١٣

كعب بن مالك ، فذكر الحرب ، كقوله :

نصل السيوف اذا قصرتـه بخطونـا قدما ، ونلحقها اذا لم تلحق

فلم يصنع في الهجاء شيئا . فدعا حسان بن ثابت فقال : أهجهم ، وأنت أبا بكر يخبرك - أي بمعائب القوم . وكان أبو بكر علامة قريش ، وكان جبير ابن مطعم أخذ العلم عن أبي بكر "(١) ويقول ابن سلام أيضا " وأخرج حسان لسانه حتى ضرب به على صدره وقال : والله يارسول الله ، ما أحب أن لي به مقولا في العرب ، فصب على قريش منه شآبيب شر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اهجهم ، كأنك تنضحهم بالنبل "(٢)

كان ذلك الشعر يمثل حربا نفسية - ان صح هذا التعبير - يستغله شعراء الرسول لتحقيق هذا الغرض ، وقد نجحوا في اثبات تفوقهم على شعراء المشركين ، وشعراء الرسول هم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحه . وكان حسان يهجو الكفار بالقيم الجاهلية في أغلب الاحيان . في حين كان هجاء عبد الله بن رواحة لهم هجاء اسلاميا أي يستمد قيمه من تعاليم الاسلام فهو يهجوهم بالكفر والنفاق ، وما شابه ذلك .

وقد استمد حسان هجاءه لقريش من أبي بكر الصديق كما أورد ذلك ابن سلام فيما مضى . فقد كان أبو بكر عالما بمثالب القوم ومهما قيل في حسان من أنه لم يكن فارسا شجاعا ، ولا مقاتلا مقداما فانه قد أدى دوره أداء طيبا في أثناء تلك المعركة الشعرية الدعائية التي نشطت في ذلك الحين بين المسلمين والمشركين . وظل يؤدي هذا الدور حتى عام الوفود . وكان هجاؤه أكثر ايلاما للمشركين في جاهليتهم فلما أسلموا

---

(١) ، (٢) محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر . الجزء الاول ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٩٧٤ ، ص ٢١٦ ، ص ٢١٧ .

كان هجاء عبد الله بن رواحة أشد وقعا على نفوسهم . وهكذا انطلق شعراء المسلمين يجيبون هجاء المشركين بهجاء مماثل ، وتبرز أسماء بعض أولئك الشعراء المشركين مثل كعب ابن زهير الذى هجا الرسول بأشعار فأهدر دمه . والابيات هى :

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة … فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا

سقيت بكأس عند آل محمد … فأنهلك المأمون منها وعلكا

فخالفت أسباب الهدى وتبعته … على أى شىء ويب غيرك دلكا

ويقول ابن قتيبة الذى أورد هذا الشعر معقبا عليه : " فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره هذا ، فتوعده ونذر دمه . فكتب بجير الى كعب يخبره بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا مما كان يهجوه وأنه لم يبق من الشعراء الذين كانوا يؤذونه الا ابن الزبعرى السهمى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ، وقد هربا منه ، فان كانت لك فى نفسك حاجة فأقدم عليه ، فانه لا يقتل أحدا أتاه تائبا ، وان أنت لم تفعل فانج بنفسك . فلما ورد عليه الكتاب ضاقت عليه الارض برحبها وأرجف من كان بحضرته من عدوه . فقال قصيدته التى أولها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول .(١)

وهذا الذى ذكرناه يدل دلالة قاطعة على أن الاسلام لم يحارب الشعر وقد تنبه بعض القدماء لهذه الحقيقة فأخذ يفند آراء من يقولون بأن الاسلام يحارب الشعر ، ويرد على من يعيب الشعر بوجه عام . فيقول فيما قال : " .. نعم ، وكيف رويت " لان يمتلىء جوف أحدكم قيحا فيريه خير له من أن يمتلىء شعرا ، ولهجت به وتركت قوله صلى الله عليه وسلم : " ان من الشعر لحكمة ، وان من البيان لسحرا " وكيف نسيت

---

(١) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ذكره ص ١٤١ — ١٤٢

أمره صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ، ووعده عليه الجنة ؟ وقوله لحسان " رقل وروح القدس معك " وسماعه له ، واستنشاده اياه ، وطعمه صلى الله عليه وسلم به ، واستحسانه له ، وارتياحه عند سماعه ٠

أما أمره به فمن المعلوم ضرورة ، وكذلك سماعه اياه ٠ فقد كان حسان وعبد الله بن رواحه وكعب بن زهير يمدحونه ، ويسمع منهم ويصغى اليهم ويأمرهم بالرد على المشركين (١)

وقد تعرض لهذه القضية من المحدثين الدكتور عبد القادر القط [illegible] أن القرآن لم يهاجم الشعر كشعر ، وأنه انما نفى عن الرسول صلى الله عليه وسلم صفة الشاعر ٠ مستشهدا فى ذلك بآى القرآن الكريم التى [illegible] لهذا الموضوع (٢)

ومن القضايا التى ثار حول الشعر فى عصر صدر الاسلام قضية تأثر ذلك الشعر بالقيم الجاهلية أو القيم الاسلامية ٠ فهناك من يرى اصطباغ تلك الاشعار بالصبغة الاسلامية ؛ وهناك من يرى تأثرها بالتقاليد الجاهلية ففى قصيدة كعب بن زهير التى مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم والتى مطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبول

وهى القصيدة التى عرفت " بانت سعاد " ، يقول الدكتور زكى مبارك : " وقد نظرت طويلا فى هذه القصيدة فلم أر غير ما قررت ، فهى قصيدة جاهلية تغلب عليها قوة السبك ،ولكنها تكاد تخلو من روح الدين ، ولا غرابة فى ذلك فان كعب بن زهير لم يمدح الرسول الا لينجو من الموت ؛ ومن

---

(١) عبد القاهر الجرجانى : دلائل الاعجاز ، تحقيق السيد رشيد رضا ، مطبعة صبيح وأولاده ، طبعة ٦ ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٧ ٠

(٢) انظر فى الشعر الاسلامى والاموى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩ — ١١

كان في مثل حاله لا ينتظر منه صدق الثناء ".(١)

ويقول كارلونلينو عن قصيدة كعب بن زهير " بانت سعاد " " وهو يدوي الاصل مدح النبي سنة ٩ هـ بقصيدة شهيرة ألفها على منوال القصائد أهل البادية في مدح سادتهم فلولا البيتان :

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ ـقرآن فيه مواعيظ وتفصيل

والبيت الثالث :

ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

لقلنا أنه انما أراد قائدا أو سيدا من قومه لا نبيا جليلا أتى بدين جديد . فشتان ما بين أسلوب هذه البردة البدوية وبين العواطف والعبارات الدينية التي تتحلى بها بردة الشيخ البوصيري ".(٢) ويرى الدكتور عبد القادر القط أن الاثر الاسلامي في قصيدة كعب ليس الا " لمسات يسيرة ، اقتضتها طبيعة الموقف ، وضرورة الاعتذار ، ولا تنبئ عن احساس حقيقي بالقيم الاسلامية الجديدة ".(٣)

ومع ذلك فلابد من الاعتراف بأن شعر هذا العصر تضمن كثيرا كثيرا من القيم والمعاني الجديدة التي جاء بها الاسلام ، وأن الشعراء المسلمين تأثروا بها ، ولكن المخضرمين منهم عجزوا عن التكيف مع الوضع الاسلامي الجديد بفنهم الشعري ، فغلبت عليهم القيم والتقاليد الجاهلية ، لانهم نشأوا نشأة جاهلية ، وقضى كثير منهم كل ... ان شطر حياته فيها اذ يقال

---

(١) دكتور زكي مبارك : المدائح النبوية في الادب العربي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٣٥ ، ص ٢٥

(٢) تاريخ الاداب العربية ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٥

(٣) في الشعر الاسلامي والاموي ، مرجع سابق ، ص ٢٠

انه قضى ستين عاما في الجاهلية ومثلها في الاسلام : يقول ابن قتيبة :
" وعاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة ، ومات في خلافة معاوية ، وعمي آخر عمره ..."(١) فلم يكن من اليسير عليه أن يتخلص من القيم الجاهلية التي أصبحت جزءا من حياته لفترة طويلة . وقد وضح هذه الحقيقة الدكتور زكي مبارك بقوله : " .. ويأتي بعد شعر الاعشى شعر كعب شعر حسان بن ثابت ، وهذا الرجل كان أكبر شعراء الرسول ، ويمتاز بالصدق والاخلاص ، ولكن شعره على قوة روحه لا يكاد يضاف الى المدائح النبوية التي ندرسها في هذا الكتاب ، فقد كان يمدح الرسول ويقارع خصومه على الطرائق الجاهلية "(٢) . " .. فهو يتخذ مدح الرسول ومدح أهله سنادا لما عند اليه من المقارعة والملاحاة "(٣) ويقول يحيى الجبوري عن أسلوب حسان في قصائده الاسلامية : " .. وكثيرا ما تكون قصائد حسان مثلا - الممثل الرسمي لشعر المسلمين - مفصلة في ذكر فنون الجاهلية ، من فخر وحماس وهجاء ووصف ، فاذا ما تناولت أمورا اسلاميا نجدهم الشاعر أن يذكر الرسول ، أو الكتاب ، أو الجهاد ، أو الضلالة أو الهدى ، ثم سرعان ما يتخلص الى معان جاهلية عامة ، ومن فخر وعصبية وحسن بلاء . فكأن الدين يأتي ذكره استهلالا لقصائد أ ختاماتها أو المرور بالمعنى الديني مرا سريعا في بيت أو أبيات ."(٤)

وهذا كله يدل على أن الاثر الديني الاسلامي شعر حسان أثر ضئيل . غير أن أستاذنا الدكتور شوقي ضيف يرى غير ذلك . اذ يقول :
" ولعل في كل ما قدمنا ما يدل على فساد الفكرة التي شاعت بين الباحثين عربا ومستشرقين من أن الاسلام لم يترك آثارا عميقة في نفوس المخضرمين ،

---

(١) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٣٠٥

(٢) المدائح النبوية ، مرجع سابق ، ص ٢٩ (٣) المرجع نفسه ، ص ٣٠

(٤) الدكتور يحيى الجبوري ، شعر المخضرمين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، طبعة ٢ ١٩٨١ ، ص ٣٥٠

وخاصة أهل البادية ، فقد نفذت أشعته النيرة الى قلوبهم جميعا "(١)

وهناك فرق — في رأينا — بين التأثر بالاسلام - وبين القدرة على التعبير عن ذلك شعرا في لغة وصور وعبارات جديدة تنبع من قيم هذا الدين الجديد ، وبين مجرد التأثر بالاسلام والايمان به ، فشعراء صدر الاسلام قد آمنوا وتأثروا بالاسلام ، ولكنهم لم يبرز هذا التأثر في أشعارهم بصورة فنية تتساوى جمالا وروعة مع تصويرهم للقيم الجاهلية التي كانت جزءا من حياتهم لفترة طويلة - ولعل هذا ما جعل الدكتور عبد القادر القط يرى في صياغة المعاني الاسلامية في قصائد حسان ابن ثابت نظما وسهولة وقلة في الرصانة بالقياس الى شعره الجاهلي :

" والشاعر في هذه الابيات — ولم يصل بعد الى موضوعه الاسلامي — يمشي على طريقته في المقدمة محتفظا بسمات شعره الجاهلية في لغته وأسلوبه ، فاذا انتهى الى الحديث عن المسلمين تغيرت لغته وشاع فيها كثير من الالفاظ الاسلامية ، وخف مافي أسلوبه من رصانة وتماسك ، وأصبح شعره أقرب الى " نظم " المعاني الاسلامية منه الى التصوير الشعري :

وجبريل أمين الله فينا	وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبدا	يقول الحق ان نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه	فقلتم : لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد يسرت جندا	هم الانصار عرضها اللقاء "

والحق أن هذا المنهج يطرد في أغلب شعر حسان الاسلامي ، فيما رجع شعره بين الاسلوب الجاهلي في صوره ولغته ومعانيه ، وأسلوب لايمكن أن نسميه اسلاميا بالمعنى الصحيح ، وانما يستخدم الشاعر فيه

---

(١) العصر الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٧٦

بعض الالفاظ القرآنية والمعاني الدينية ويتحلل فيه من " المعجم الشعرى" الجاهلي مؤثرا " البساطة " التي قد تنتهي أحيانا الى النظم والركاكة" (١)

والشعراء الفحول الذين بقوا على قيد الحياة بعد بعثة الرسول عليه السلام ، قليلون ، وهم لبيد الذى أسلم يقول ابن قتيبة : " وأدرك لبيد الاسلام ، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى كلاب فأسلموا ورجعوا الى بلادهم . ثم قدم لبيد " الكوفة وبنوه ، فرجع بنوه الى البادية (بعد ذلك) ، فأقام لبيد الى أن مات بها ، فدفن فى صحراء بنى جعفر بن كلاب . ويقال ان وفاته كانت فى أول خلافة معاوية وأنه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة .

ولم يقل فى الاسلام الا بيتا واحدا . واختلف فى البيت ، قال أبو اليقظان هو :

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى حتى كسانى من الاسلام سربالا

وقال غيره : بل هو قوله :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنشدنى (من شعرك) فقرأ سورة البقرة ، وقال : ما كنت لاقول شعرا بعد اذ علمنى الله (سورة) البقرة ، وآل عمران ، فزاد عمر فى عطائه خمسمائة (درهم) ، وكان ألفين" (٢) وكما يتضح من قول ابن قتيبة السابق ، لم يقل لبيد شعرا بعد اسلامه .

والاعشى ، الذى أراد أن يسلم : " وكان جاهليا قديما ، وأدرك الاسلام فى آخر عمره ، ورحل الى النبى صلى الله عليه وسلم ليسلم ، فقيل

---

(١) فى الشعر الاسلامى والاموى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٥ ، ٤٦

(٢) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦

له : انه يحرم الخمر والزنا ، فقال : امتنع منهما سنة ثم أسلم ، فمات قبل ذلك بقريته باليمامة .» (١) وقد اعترضت قريش التي أزعجها أن يسلم طريقه ، وذكرت له — ليعدل عما هو مقدم عليه أن الاسلام يحرم الخمر والنساء ، أو الاطيبين على حد قولهم ، وأغروه بالعدول عن اسلامه بأن أعطوه مائة من الابل على أن يرجع عامه هذا ، فان انتصر محمد عليهم في العام القادم عاد اليه فأسلم ، وان هزم أو انتصروا هم عليه ، كان فيما أخذه من الابل عوض عن لقائه . (٢)

ويقال انه مدح الرسول بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا   وبت كما بات السليم مسهدا

وهي قصيدة يشك في نسبتها اليه . ويقال انه سقط من فوق بعيره وهو عائد بما أعطته له قريش فوق عنه ومات سنة ٧ هـ .

وأما الحطيئة فظل ينظم الشعر كما كان ينظمه في العصر الجاهلي ، فهو يمدح ويهجو ويأخذ في أغراض الشعر وكأن شيئا لم يحدث ، وقصته مع الزبرقان بن بدر مشهورة (٣) ويقول عنه صاحب الاغاني مصورا خلقه ، ومكانته كشاعر ، ودينه ، وهذا الاخير يهمنا لانه ارتد عن الاسلام ، وهجا أبا بكر الصديق رضي الله عنه : لا .. وهو من فحول الشعراء ، ومتقدميهم وفصحائهم ، متصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب ، مجيد في ذلك أجمع ، وكان ذا شره وسفه ، ونسبه متدافع بين قبائل العرب . وكان ينتمي الى كل واحدة منها اذا غضب على الاخرين ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام . فأسلم ثم ارتد

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥

(٢) انظر تفاصيل ذلك المرجع السابق ، ص ٢٥٧

(٣) الاغاني ، جـ ٢

وقال في ذلك :

أطعنا رسول الله اذ كان بيننا   فيالعباد الله مالابي بكر
أيورثها بكرا اذا مات بعده   وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

ويكنى الحطيئة أبا مليكه ، وقيل ان الحطيئة غلب عليه ، ولقب به لقصره وقربه من الارض " . (١)

ومثل الحطيئة وقد اتخذ الشعر حرفة به ، لابد أن يمدح ويهجو ، ويلحف في طلب العطاء ، ويهجو من لا يعطيه ، مما جعل صاحب الاغاني يلصق به كثيرا من النقائص، فيقول : " ... كان الحطيئة جشعا سؤولا ملحفا ، دنيء النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلا ، قبيح المنظر رث الهيئة ، مغمور النسب ، فاسد الدين ، وما تشاء أن تقول في شعر شاعر من عيب الا وجدته ، وقلما تجد ذلك في شعره ". (٢) ولكن الدكتور شوقي يرى رأيا آخر في أخلاق الحطيئة يرى أن الرواة بالغوا فيما وصفوه به : " والحق أن الرواة بالغوا في اتهامه البخل ودناءة النفس، كما بالغوا في اتهامه بفساد الدين ، قد يكون رقيقه ولكن ليس فاسده ، فقد كان يستشعره في الهجاء بشهادة لسانه كما قد منا ونراه في مديحه يكثر من ذكر جزاء الله لممدوحه على ما يقدم له من بره على شاكلة قوله في بعض مدوحيه :

فليجزه الله خيرا من أخي ثقة   وليهده بهدى الخير ات هاديها

وقد يستهل المدح بالثناء على الله في مثل قوله :

الحمد لله اني في جوار فتى   حامي الحقيقة نفاع وضرار

وقال أبو عمرو بن العلاء : لم تقل العرب بيتا قط أصدق من بيت الحطيئة :

---

(١) المرجع السابق ، ص١٥٧
(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٣

من يفعل الخير لايعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

ولعل في ذلك ما يدل على حسن اسلامه ..(١) ويرى الدكتور عبد القادر القط رأيا آخر في الحطيئة ، اذ يرى أنه لم يتأثر بالاسلام تأثرا يذكر ، وأنه مضى يقول الشعر كما كان يقوله في الجاهلية . " والحق أنه قد سلك مسلك الشاعر الجاهلي بقية حياته في الاسلام ، فمضى يمدح ويهجو ويتكسب بشعره مستغلا بعض الخصومات القبلية التي كانت ما تزال سائدة حينذاك . وبذلك لم يتأثر تأثرا يذكر بروح الاسلام أو أسلوب القرآن أو لغة " العصر " التي كانت قد بدأت تجري على ألسنة الشعراء والخطباء ، واذا استثنينا أبياته المعروفة في استعطاف عمر لكي يخرجه من السجن ، وبضعة أبيات أخرى متناثرة في ديوانه ، في المدح والحكمة ، لما رأينا اختلافا واضحا بين شعره في الجاهلية وشعره في الاسلام . فبناء القصيدة لديه يجري في كثير من الاحيان على السنن المألوف من وقوف على الاطلال أو نسيب أو وصف رحلة ، ثم خلوص للممدوح . وهو في وصف الرحلة والناقة يستخدم لغة الشعر الجاهلي وأوصافه وتشبيهاته ومجازاته حتى اذا انتهى الى المدح رقت عبارته أحيانا وان لم يجيء بشيء جديد ".(٢)

ويحدد الدكتور يحيى الجبوري بيئات ثلاث للشعر في صدر الاسلام وهي : المدينة ، ومكة ، والبادية ، ويرى أن شعر المدينة كان يمثل المعاني الاسلامية خير تمثيل ، وأن عبارة " الشعر الاسلامي " اذا صح اطلاقها على شعر هذه الفترة ، فانها لا تنطبق الا على شعر المدينة دون غيره من أشعار تلك البيئات المختلفة ولكنه يستدرك قائلا ان ذلك الشعر لم يكن ليعبر عن القيم والمبادىء الدينية على الوجه المرجو ، لان

---

(١) العصر الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٩٩

(٢) في الشعر الاسلامي والاموي ، مرجع سابق ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

الشعراء لم يستطيعوا التخلص من القيم الجاهلية القديمة وأن سلوكهم وتعبيرهم لم يتأثر بالاسلام على نفس المستوى من التأثر بالقيم الجاهلية ، وانما اقتصر تأثرهم بالاسلام على استعمال ألفاظ وتعابير دينية ، أو ذكر أحداث اسلامية أو تضمين آيات قرآنية ، وهذا يعد نقلا لا ابداعا (١)

أما البيئتان الاخريان وهما مكة والبادية ، فلم يكن أثر الاسلام في شعر شعرائهما واضحا بطبيعة الحال ، لخصومتهما للدين الاسلامي وظل شعرهما يمثل الاتجاهات الجاهلية : " ... لقى بقى شعر المخضرمين في غالبه محافظا على نمطه الجاهلي وأسلوبه ، متمسكا بالمثالثة التي كان يصدر عنها الشعر قبل الاسلام فهو بعامته يتسم بالايجاز وقوة التعبير وجزالة اللفظ ." (٢)

وينتهي دكتور الجبوري الى الحديث عن السمة العامة للشعر في صدر الاسلام بقوله : " .. أما من حيث عموم الشعر ، فالنهج الجاهلي هو السائد في أساليب الشعراء ، فاذا نظرنا في قصيدة " البردة "بانت سعاد" وهي من القصائد الهامة في الاعتذار للرسول ومدحه عليه السلام وكذلك الحال في مدح كعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ، وهذا يعني أنه لم يحدث تطور واسع في القصيدة العربية على هدى الاسلام ، وهذا أمر طبيعي ، لان عصر المخضرمين عصر انتقال من حياة العرب القديمة الى حياتهم الاسلامية الجديدة ، وفي عصور الانتقال لا تبرز الظواهر الجديدة في الفن الا بعد فترة تستقر فيها النفوس وتتفتح الاذهان على متطلبات العهد الجديد . ولذلك فليس غريبا أن يكون الطابع الجاهلي

---

(١) شعر المخضرمين ، مرجع سابق ، ص ٣٤٩ — ٣٥٠

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٤٨ .

هو الذي يصبح شعر هذا العصر ، بل ان الروح القبلية ظاهرة في شعر الشعراء المسلمين أنفسهم على الرغم من أن الاسلام جاء ليغض من هذه الروح ، ويضع في نفوس القوم مفهوم الامة مكان القبيلة ٠٠٠ (١)

وهكذا نرى أن الباحثين — في الغالب — يرون ضعف الشعر في صدر الاسلام لاسباب حضارية ، تتعلق بالعجز عن التكيف الكامل مع الوضع الجديد الذي جاء به الاسلام ، أو لاسباب أخرى كانشغال العرب بالفتح أو لعجز الشعراء عن الوصول الى مستوى التعبير القرآني ، أو لان الاسلام حرم القول في أمور تتناقض مع مبادئه الاخلاقية ٠ ولكن تلك الاراء وأمثالها ما تزال محل أخذ ورد بين الباحثين فالدكتور شوقي ضيف يرفض ما ذكره القدماء بشأن ضعف شعر حسان ، حيث ذكروا أنه كان فحلا في الجاهلية فسقط شعره في الاسلام اذ يرى أن شعره ظل قويا في الاسلام كما كان قويا في الجاهلية ، ويرى أن الاسلام في شعره واضح (٢)

وممن قال من القدماء بضعف الشعر في عصر صدر الاسلام ، ابن سلام ورد ذلك الى انشغال العرب بالجهاد : " جاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو الفرس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته فلما كثر الاسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالامصار ، راجعوا رواية الشعر ، لم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير ٠ " (٣) أو لان الشعر موضوعه الشر وما دخله الخير الا ضعف فبواعث الخير التي جاء بها الاسلام أضعفت الشعر ، ويضربون المثل بشعر حسان (٤)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤٧ — ٣٤٨
(٢) العصر الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣
(٣) طبقات فحول الشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٢٥
(٤) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٣٠٥

الاعشى ميمون بن قيس

الاعشى هو ميمون بن قيس بن بكر بن وائل ، وكان أعمى ، ويكنى أبا بصير ، وكان أبوه قيس يدعى " قتيل الجوع " . وذلك أنه كان فى جبل فدخل غاراً ، فوقعت صخرة من ذلك الجبل ، فسدت فم الغار ، فمات فيه جوعا . " (١)

وهو أحد فحول الجاهلية الاربعة : زهير وامرؤ القيس والنابغة والاعشى . وقد اختلف القدماء فى هؤلاء الاربعة ولم يتفقوا على أيهم أشعر " وقال أصحاب الاعشى ، هو أكثرهم عروضا ، وأذهبهم فى فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، وأكثرهم مدحا وهجاء ، وفخرا ووصفا كل ذلك عنده . " (٢)

ولكن ابن سلام يعلق على ذلك القول ، بقوله : " وكان أول من سأل بشعره ، ولم يكن له — مع ذلك — بيت نادر على أفواه الناس كأبيات أصحابه . " (٣) " ويسمى الاعشى " صناجة العرب " لانه أول من ذكر الصنج فى شعره فقال : "

ومستجيب لصوت الصنج تسمعه اذا ترجع فيه القينة الفضل

وكان الاعشى يفد على ملوك فارس ، ولهذا اكثرت الفارسية فى شعره كقوله :

فلأشربن ثمانيا وثمانيا وثلاث عشر واثنتين وأربعا
من قهوة باتت بفارس مسبأة تدع الفتى ملكا يميل مصرعا
بالجلسان وطيب أردانه بالون يضرب لى يكر الإصبعا
والناى نرم وبربط ذى بحة والصنج يبكى شجوه أن يوضعا (٤)

---

(١) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧

(٢) ، (٣) طبقات فحول الشعراء ، مرجع سابق ، ص ٦٥

(٤) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨

وقد أراد الاعشى مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدته التي (*) يشك في صحة نسبتها اليه طه حسين ، كما يشك في كثير من شعر الاعشى ، فهو يشك في قصيدته في مدح المحلق الكلابي ، وهي من أجود قصائده ، وغيرها من شعر الاعشى الذي لا يطمئن الى اكثره ، بل يرى هذا الاكثر منحولا عليه ، فهو يشك شكا شديدا في كل ما يضاف الى الاعشى من مدح ، لان الدافع الى وضع هذا الشعر هو العصبية (١) ويلخص رأيه في الاعشى بقوله : " وخلاصة رأينا في الاعشى انه شاعر عاش في آخر العصر الجاهلي ، وتصرف في فنون من الشعر أظهرها الغزل والخمر والوصف ، ومدح طائفة من أشراف العرب ، ولكن العصبية استغلت هذا المدح ، ولعله كان قد ضاع فأضافت اليه مكانه مدحا كثيرا لليمنيين والربعيين ومدحا قليلا للمضريين . ولا شك في أن بين هذا الشعر الذي يضاف الى الاعشى مقطوعات وأبياتا يمكن أن يكون الاعشى قد قالها حقا ، ولكن تمييز هذه الابيات والمقطوعات مما يحيط بها من المنحول المتكلف ليس بالشيء اليسير ." (٢)

وهكذا يلغي طه حسين شعر الشاعر معتمدا على نظريته في الانتحال ويلغي الصحيح القليل — حسب رأيه — لان تمييزه من المنتحل ليس سهلا ولا ميسورا .

ومع ذلك فنعود الى مناسبة القصيدة ، وهي محاولة الاعشى مدح النبي عليه السلام وكيف خشيت قريش عاقبة ذلك فلقيته ، وحاولت أن تثنيه

(*) هذه القصيدة يرى بروكلمان أنه لا صلة لها بعقيدة الاعشى ، ويرى طه حسين أنها منحولة ويؤيده في هذا الرأي فؤاد البستاني ، انظر : بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ج ١ ، الطبعة الثالثة ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص١٤٨ ، وانظر : طه حسين ، في الادب الجاهلي ، طبعة ١٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٢٢٨ ، ٢٣٩ .

(٢) انظر في الادب الجاهلي ، مرجع سابق ، ص٢٢٨ ، ٢٢٩

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٤١

عن ذلك ، فذكرت له أنه يحرم عليه الاطيبين : أي الخمر والنساء — كما تقول الرواية ، ويقال كذلك انهم جمعوا له مائة من الابل على أن يعود عامه هذا ، فان انتصر محمد عاد ومدحه في عامه القادم ، وان انتصروا عليه كانت له عوضا عن ذلك ، ويقال انه في أثناء عودته سقط من فوق بعيره فمات . وسنورد هذه القصيدة .

القصيدة :

١ — ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا	وعادك ما عاد السليم المسهدا
٢ — وما ذاك من عشق النساء وانما	تناسيت قبل اليوم خُلّة مهددا
٣ — ولكن أرى الدهر الذى هو خاتر	اذا أصلحت كفّاي عاد فأفسدا
٤ — شباب وشيب وافتقار وثروة	فلله هذا الدهر كيف تردّدا
٥ — وما زلتُ أبغى المال مذ أنا يافعٌ	وليدًا وكهلا حين شبت وأمردَا
٦ — وأبتذل العيس المراقيل تغتلى	مسافة ما بين " النخير " " فصرخدًا "
٧ — فإن تسألى عنى فيارُبّ سائل	حَفيٌّ عن الأعشى به حيث أصعدا
٨ — ألا أيها السائلى : أين يمّمت	فإنّ لها فى أهل يثرب مَوْعِدا
٩ — فأمّا إذا ما أدلجت ، فترى لها	رقيبين " جَدْيًا " لا يغيب " وفرقدا "
١٠ — وفيها اذا ما هجّرت عجرفيّةٌ	إذا خِلْتَ حرباءَ الظهيرة أصيدا
١١ — أجدّت برجليها نجاءً وراجعت	يداها خِنافًا لَيِّنًا غير أحردا
١٢ — فآليتُ لا أرثى لها من كلالة	ولا من حفىً حتى تزور محمّدًا
١٣ — متى ما تناخى عند باب ابن هاشم	تريحى وتلقىْ من فواضله يدا
١٤ — نبى يرى مالا ترون ، وذكره	أغار لعمرى ، فى البلاد وأنجدا
١٥ — له صدقات ما تغبّ ونائل	وليس عطاء اليوم مانعه غدا
١٦ — أجدّك لم تسمع وصاة محمد	نبىّ الإله ، حين أوصى وأشهدا
١٧ — اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى	ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
١٨ — ندمت على ألا تكون كمثله	وأنك لم ترصد لما كان أرصدا
١٩ — فإياك والميتات لا تأكلنها	ولا تأخذن سهما حديدا لتفصدا

٢٠ـ وذا النصب المنصوبَ لا تنسكنّه ولا تعبد الاوثان واللّه فاعبُدا

٢١ـ ولا السائلَ المحروم لا تتركنّهُ لعاقبةٍ ، ولا الأسيرَ المقيّدا

٢٢ـ ولا تسخرن من بائس ذى ضراوة ولا تَحسبَنّ المرءَ يوماً مُخلّدا

٢٣ـ ولا تقربنّ جارةً ان سرها عليك حرام ، فانكحن أو تأبّدا (١)

الشرح :

١ ـ المسهد : الذى لا يستطيع النوم وهو راغب فيه • أرمد : اسم مكان
عادك : عاودك وانتابك • تغتمض : تنم • السليم من لدغته الافعى
يقول الشاعر مخاطبا صديقا خياليا له ، أو مخاطبا نفسه : ألم تنم
ليلة أرمد ا وظللت مستيقظا مسهدا ، كما يفعل من لدغته الافعى
اذ يظل مستيقظا من شدة الالم ، أو يظل أهله يوقظونه حتى لا يفتك
به سمها • أو عاودك وانتابك ما يصيب السليم من الالم فترة بعد
أخرى والمعروف أن الشاعر يوجه الخطاب الى نفسه فى هذا البيت •

٢ ـ وما ذاك السهر الذى أصابنى بسبب هوى النساء وعشقهن فانى تناسيت
أو حاولت أن أنسى خلة مهدد • والخلة : الصديقة أو العشيقة ، مهدد
اسم مكان •
تناسى : تظاهر بالنسيان لانه ما زال عاشقا لها ولكنه لا يملك الا أن
يتناسى •

٣ ـ خاتر : الختر : الغدر والخديعة أو أقبح الغدر • والخاتر : الغادر
ولكن سهدى بسبب فعل الدهر الغادر الذى لا أستطيع اصلاح شئ
الا أفسده على •

---

(١) ديوان الأعشى ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٨ ،
ص ١٠٥ ، ١٠٦

٤ ـ ويعجب من تغير أحوال الدهر مع الانسان فهو تارة يكون شابا وطورا يصير شيخا ، ويوما يكون غنيا ، ويوما آخر يكون فقيرا ، وهذا شيء يحار الشاعر منه ، فالدهر يتغير ولا ثبات لامره .

٥ ـ اليافع : وليدا : المولود ، والصبي والكهل : والكهل من وخطه الشيب ورأيت بجالة أو من جاوز الثلاثين أو أربعا وثلاثين الى احدى وخمسين . وأمرد : الامرد : الشاب طر شاربه ولم تنبت لحيته .

ويتحدث الشاعر عن طلبه للمال وهو شاب يافع وهو صبي وكهل ، وحين علا الشيب رأسه ، ويلاحظ أنه لم يرتب مراحل السن [illegible] خضوعا لضرورة الشعر . وكأنه يأتي بمراحل العمر مختلطة متداخلة .

٦ ـ ابتذل العيس : اتخذ بعضها بدلا من الاخر ، والعيس : ، ولعل الصحيح ابتذل العيس : أي يجود بها عطاء من يبذله يبذله أعطاه وجاد به . أو من الابتذال الذي هو ضد الصيانة تغتلي : تسرع ، والاغتلاء الاسراع .

يقول الشاعر انه لا يصون جماله عن السير المسرع بقطع الدائمة بين التهجير وصرخد .

٧ ـ الحفي : وحفي كفني : العالم يتعلم باستقصاء والملح في سؤاله . أصعد ، أصعد : أتى مكة ، وأصعد في الارض مضى ، وأصعد في الوادي انحدر .

يقول مخاطبا محبوبته ، فان تسألي عني فكثيرون يسألون عني مثلك وهم حريصون على أن يعرفوا أين ذهبت .

٨ ـ يمم : يممه : قصده . والتيمم : التوخي والتعمد .
يامن يسألني عما تقصده ناقتي ، اني أقول لك ان لها موعدا في

يثرب (المدينة المنورة) ٠

٩ ـ أولج : الدلج : محركه والدلجة بالضم والفتح السير من أول الليل وقد أدلجوا ، فان ساروا من آخره فادلجوا بالتشديد ٠ وهذه الناقة اذا ما سارت من أول الليل فنرى لها رقيبين من نجوم السماء هما الجدي وفرقد ٠

١٠ ـ هجرت : سارت في الهاجرة ، عجز فيه : قلة المبالاة لسرعتها ٠ أي هذه الناقة اذا ما سارت في الهاجرة لا تبالي بحرها لما تتسم هي به من سرعة ٠ الاصيد : المائل العنق ، والرافع رأسه كبرا والملك ، أي هذه الناقة سريعة حتى في شدة الحر التي لا يطيقها الحرباء ٠

١١ ـ أجدت : أجد حان أن يجد

نجاء :

خنافا : خنف البعير يخنف خنافا : قلب في مسيره خف يده الى وحشيه أو كوى أنفه من الزمام ، أو هو لين في أرساغه ، أو هو امالة رأس الدابة الى فارسه في عدوه ٠ جمل خانف وخنوف ٠

أحرد : ناقة حرود ومحارد ، ومحاردة بينة الحراد ٠ والحرد : داء في قوائم الابل وفي اليدين أو يبس في عصب احد اهما من العقال ٠ يصف ناقته بالسرعة مع لين في السير ، كما يصف حركة سيرها ٠

١٢ ـ آليت : أقسمت ٠ لا أرثي : رثى له : رحمه ورق له ٠

من كلالة : من اعياء أو كلال ٠

حفى : رقة القدم والخف والحافر ٠

قد أقسمت ـ أيتها الناقة ـ أني لن أرق لك أو أرحمك بسبب ما نالك من تعب أو حفى في طريقك الى محمد عليه السلام حتى تبلغيني اياه فأزوره ٠

١٣ ـ أناخ : الناقة : جعلها تبرك . ابن هاشم : النبي صلى الله عليه وسلم . تريحى : أراح الله العبد : أدخله فى الراحة ، وأراح رجعت اليه نفسه . فواضله : الايادى الجسيمة أو الجميلة ، يعنى العطاء العظيم . يدا : النعمة والاحسان والقوة .

عندما تبركين عند بيت محمد عليه السلام ترتاحين ، وتلقى من عطائه العظيم قوة ونعمة ، وهو أن كان يجعل الناقة هى التى تلقى العطاء والنعمة من النبى فانه يقصد نفسه وهو هنا يصف النبى بالكرم وبعراقة الاصل ومن ثم يدعوه بابن هاشم .

١٤ ـ وذكره : الذكر الصيت والثناء والشرف .

أغار : بلغ الاماكن السهلية أو المنخفضة ، وأنجد : بلغ الاماكن العالية والجمع بين أغار وأنجد يدل على بلوغ صيت الرسول الى كل مكان فالمكان اما منخفض أو مرتفع ، وصيته بلغهما فكأن بلغ كل الاماكن .

هذا النبى يرى مالا ترون فهو أبعد منكم بصرا ، فهو يحمل رسالة السماء تنير له الطريق وتريه الحق ، وصيته بلغ كل مكان .

١٥ ـ صدقات : الصدقة : ما أعطيته فى ذات الله .

تغب : من قولهم : فلان لا يغبنا عطاؤه : أى يأتينا كل يوم .

نائل : عطاء .

هذا النبى كريم كرما واسعا فعطاؤه لا ينقطع أبدا بل هو عطاء متواصل ولا يمنعه كرمه أن يعطيك اليوم ثم تعود فيعطيك غدا .

١٦ ـ الوصاة : وأوصاه ووصاه توصية : عهد اليه ، والاسم : الوصاة والوصية والوصاية . ويذكر ألم تسمع وصية محمد ، ولعله يقصد بشيء الى حسب عبادة الله وحده ، والشهادة بأن محمدا رسوله ـ حين أوصى الناس بذلك ، يدعاهم اليه ، وأشهد على أنه بلغ رسالة ربه . وبهذا يقصد بالوصية ما يرد فى الابيات التالية .

١٧ ـ ١٨ اذا لم ترحل عن هذه الدنيا بزاد من التقوى وخشية الله ، ثم لقيت بعد موتك من تزود (وخير الزاد التقوى) ندمت على انك لم تكن مثله ، فأرصدت : أعددت لما كان أعد له من العمل الصالح والتقوى .

١٩ ـ القصد : قصد يقصد قصدا شق العرق ، وكان بعضهم يقصد الناقة ويسقي ضيفه من دمها .

فأ... الميتات لا تأكلنها ، وهو كما نعرف من تحريم الاسلام لاكل لحم الميتة والقصد ، كتابة عن تحريم شرب الدم .

٢٠ ـ النصب : كل ما عبد من دون الله ، المنصوب : المرفوع الذى أقامه الكافر . لا تنسكنه : نسك : تعبد وانقطع لله تعالى عابدا .

ولا تعبد تلك الاصنام والاوثان التي اقيمت ، ولا تعبد الاوثان واعبد الله وحده . وهذا مما دعا اليه الرسول الكريم .

٢١ ـ وأقم الصلاة في الضحى والعشي أى في كل الاوقات ولا تحمد الشيطان ، ولكن أحمد الله ، فهو المنعم المتفضل .

٢٢ ـ العاقبة : آخر كل شيء .

ولا تترك السائل المحروم دون أن تعطيه من مالك محسنا اليه ولا تؤجله الى وقت آخر ، وفك الاسير المقيد ، أو عجل باطلاق سراحه .

٢٣ ـ ضراوة : يلهج بالطلب ـ ربما لشدة حاجته

ولا تسخرن من الفقير البائس الذى يلهج في الطلب العون ، ولا تحسبن نفسك خالدا في هذه الدنيا ، بل ستموت تاركا كل شيء فاعمل لاخرتك .

٢٤ ـ سرها : نكاحها . انكحن : أى تزوج

تأبد الرجل طالت عزبته ، وقل أربه في النساء

لا تقربن جارتك تبغي ارتكاب الفاحشة معها ، فالاسلام يحرم هذا عليك . فأما أن تتزوج ، واما أن تبقى في عزبتك أبدا بعيدا عن الفاحشة .

لبيـــد

هـو لبيد بن ربيعـة بن مالـك بن جعفـر بن كـلاب الشاعـر المحسن المشهـور وهو شاعـر مخضـرم ، وهـو القائـل :

والحمد لله اذ لم يأتني أجلـي   حتى لبست من الاسـلام سربالا

ويقـال انـه كـف عن قـول الشعـر في الاسـلام وقد رفـع عمر بن الخطـاب من عطائـه لذلـك . ولـه في الحكمـة الاشعـار التاليـة :

الحكمـــــة

١ ـ ألا تسـألان المرء ماذا يحـاول   أنحب فيقضى ، أم ضـلال وباطـل

٢ ـ حبائلـه مبثوثـة بسبيلـه   ويفنى اذا ما أخطـأتـه الحبائـل

٣ ـ اذا المرء أسرى ليلـة ظن أنـه   قضى عمـلا ، والمرء ما عاش عامـل

٤ ـ فقولا له ان كـان يقسم أمـره   ألما يعظـك الدهر، أمـك هابـل

٥ ـ فتعلم أن لا أنت مدرك ما مضـى   ولا أنت مما تحـذر النفس وائـل

٦ ـ فان أنت لم تصدقك نفسك فانتسب   لعلـك تهديك القرون الاوائـل

٧ ـ فان لم تجد من دون عدنان باقيـا   ودون معـد فلتزعك العـواذل

٨ ـ أرى الناس لايدرون ما قدر أمرهـم   بلى كل ذي لب الى اللـه واسـل

٩ ـ ألا كل شـيء ما خلا اللـه باطـل   وكل نعيـم لا محالـة زائـل

١٠ ـ وكل امـرئ يوما سيعلم سعيـه   اذا كشفـت عند الالـه المحاصـل

الشـرح :

١ ـ يحـاول : التحـول والتحيـل والحيلـة : الحـذق ـ وجـودة النظـر والقـدرة على التصـرف . النحـب : النحب الموت والاجـل والنفـس .

قضـى نحبـه : وافاه الاجل : أي مـات وقتـل .

اسألا الانسـان ماذا يـروم ويطلـب ويحاول الحصـول عليـه . هل يطلـب المـوت فيموت أم يطلـب الباطـل والضـلال .

٢ ـ حبائله : جمع حبالة وهى المصيدة . وأخطأته : لم تصبه المصايد المعدة له المنتشرة فى سبيله أى طريقه ، ويعنى اذا ما أخطأته الحبائل يعنى الانسان ميت على كل حال .

٣ ـ أسرى : سر ليلا
اذا المرء أسرى من بلد الى آخر أو من مكان الى آخر ، ظن انه قضى عملا هاما جدا ، والمرء ما عاش ، أو ماظل حيا لابد أن يعمل ويكد ويكدح .

٤ ـ يقسم أمره : قدره ، أو لم يدر ما يصنع فيه
وعظ : وعظه يعظه عظة ، وموعظة : ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ . أمك هابل : هبلته امه : ثكلته
قولا له ان لم يكن يدرى ما يصنع ، ألم يعظك الدهر ، فتتصرف الى العبادة ثكلتك أمك .

٥ ـ وأل : نجا
فتعلم أنك لا تستطيع ادراك ما فات ، ولا حذرك من الشىء ينجيك من القضاء أو الموت .

٦ ـ فاذا لم تصدقك نفسك وتخبرك الحق ، فانتسب أى اذكر نسبك ، أى آباءك وأجدادك لعلك تدرك أنهم ماتوا وأنك ميت مثلهم ، وبهذا تكون القرون السابقة قد هدتك الى الحقيقة .

٧ ـ عدنان : أبو عرب الشمال . وزعه : كفه . ومعد أيضا ابنه
اذا كان من جاء قبل معد وعدنان قد ماتوا ومن جاءوا بعدهم كذلك حتى يومنا فلتكفك عما أنت بسبيله العواذل .

٨ ـ كل ذى لب : كل عاقل أو كل صاحب عقل .
واسل : اتخذ وسيلة الى الله لعله يرضى عنه .

أى الناس لا يعرفون مصيرهم ، وكل ذى عقل يتوسل الى الله ثم انه يفوز برضاه .

١٠ — وكل انسان سيعلم نتيجة سعيه وعمله فى الدنيا اذ حوسب يوم القيامة عند الله .

الحطيئـــــة

لقب لقب به اما لانه كان قصيرا قريبا من الارض أو " لانه ضرط ضرطة بين قوم ، فقيل له ما هذا؟ فقال : انما هي حطيئة ، فسمي بالحطيئة " (١)
وقد وصم بأوصاف قبيحة كثيرة تصل الى حد الكفر ، بل قيل انه ارتد عن الاسلام . وهو - في رأى أبي الفرج - أحد بخلاء العرب الاربعة ، وهم : الحطيئة ، وحميد الارقط ، وأبو الاسود الدؤلي ، وخالد بن صفوان . (٢) ويرى استاذنا الدكتور شوقي ضيف " أن الرواة بالغوا في اتهامه بالبخل ودناءة النفس ، كما بالغوا في اتهامه بفساد الدين ، قد يكون رقيقه ، ولكنه ليس فاسده .. (٣)

ويقال انه : " .. كان هجا أمه وأباه ونفسه فقال في أمه :

تَنَحَّي فاقعدي مني بعيـــدًا	أراح اللّه منكِ العالمينـــا
ألم أوضِحْ لكِ البغضاءَ مني	ولكن لا إخالكِ تعقلينـــا
أغِربالاً إذا استودعتِ سِرًّا	وكانونًا على المتحدثينـــا
جَزاكِ الله شَرًّا من عجـــوزٍ	ولقّاكِ العقوق من البَنينـــا
حياتُكِ ما علمت حياةُ سوءٍ	وموتُكِ قد يَسُرُّ الصالحينـــا

وقال لابيه :

لحاكَ اللّهُ ثم لحاكَ حقـــًا	أبًا ولحاكَ من عمٍّ وخـــالِ
فَنِعْمَ الشيخُ أنت لدى المخازي	وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
جَمَعْتَ اللؤمَ ، لا حيّاكَ ربي	وأبواب السفاهة والضلالِ

---

(١) كتاب الاغاني ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٥٧

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٦٣

وقال لنفسه :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلمًا ... بسوءٍ فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجهًا شوّه الله خلقه ... فقبّح من وجهٍ وقبّح حامله ..(١)

" وكان الحطيئة جاور الزبرقان بن بدر ، فلم يحمد جواره ، فتحول عنه الى بغيض فأكرم جواره ، فقال يهجو الزبرقان ويمدح بغيضا :

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا ... ذا حاجة عاش في مستوعرٍ شاس

جارًا لقوم أطالوا هون منزله ... وغادروه مقيما بين أرماس

ملوا قراه وهرّته كلابهم ... وجرحوه بأنياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأنشده آخر الابيات فقال له عمر : ما أعلمه هجاك ، أما ترضى أن تكون طاعما كاسيا ؟ : قال : انه لايكون في الهجاء أشد من هذا ، ثم أرسل الى حسان بن ثابت ، فسأله عن ذلك ، فقال : لم يهجه ولكن سلح عليه ، فحبسه عمر ، وقال : يا خبيث لاشغلنك عن أعراض المسلمين ". (٢)

---

(١) الشعر والشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٢٣ — ٣٢٤

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ ويذكر بن سلام سببا آخر لفساد علاقة الحطيئة بالزبرقان فيقول : " وأرسل الزبرقان الى امرأته أن أكرمي مثواه ، وكانت ابنته مليكة جميلة ، فكرهت امرأته مكانها ، فظهرت لهم منها جفوة — وبغيض بن عامر بن لأي بن شماس ، أحد بني قريع بن عوف ، ينازع يومئذ الزبرقان الشرف . والزبرقان أحد بني بهدلة بن عوف ، وبغيض أرسخ في الشرف من الزبرقان ، وقد ناوأه الزبرقان ببدنه حتى ساواه بل اعتلاه — فاغتنم بغيض وأخواه ، علقمة وهوذة ، مافيه الحطيئة من الجفوة ، فدعواه الى ما عندهما ، فأسرع ، فبنوا عليه قبة ، ونحروا له وأكرموه كل الاكرام وشدوا بكل طنب من أطناب حياته جلة من جلال هجر .. " انظر طبقات الشعراء ، ص ١١٥ ، وانظر ايضا ص ١١٦ يتضح من هنا أن عمر زوجة الزبرقان والصراع بين الاسر وبغيض أدى بها الى هجاء الحطيئة للزبرقان .

وقد نظم الابيات التالية مستعطفا عمر بن الخطاب :

١ ـ أعوذ بجدّك أنــي امــرؤ	سقتني الأعادي إليك السِّجالا
٢ ـ فإنك خيرٌ من الزبرقــان	أشد نكالا وأرجى نــوالا
٣ ـ تحنن عليّ هداك المليــك	فان لكل مقام .. مقـالا
٤ ـ ولا تأخذني بقول الوشــاة	فان لكل زمــان رجــالا
٥ ـ فان كان ما زعموا صادقــا	فسيقت نسائي اليك رجــالا
٦ ـ حواسر لا يشتكين الوجــى	يخفضن آلا ويرفعــن آلا

ويقال انه اعتذر لعمر بن الخطاب بقوله :

" ماذا أردت لأفراخ بذى مَرَخ	حمر الحواصل لا ماءٌ ولا شَجَرُ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة	فاغفر عليك سلامُ الله ياعمــر

فرق له عمر وخلى سبيله ، وأخذ عليه ألا يهجو أحدا من المسلمين .(١)

شرح الابيــات :

١ ـ السجال : جمع سجل : الدلو العظيمة . أعوذ : التجيء . والعــوذ : الالتجاء ومثله العياذ . بجدك : الجد بالفتح أبو الام وأبو الاب والحظ والبخت والرزق ، والجد بكسر الجيم الاجتهاد في الامر ضد الهزل .
انى احتمى بجدك ياعمر أو التجيء الى ما عرفت به من جد واجتهاد في كل أمورك أن تعفو عني ، فان الاعادي أعطوني سجالا من العطاء قبل أن أصل اليك وكأنه يتنصل من ذنبه مدعيا أن الاعداء بوشايتهم قد سقوه سجالا من الاذى والعذاب .

٢ ـ النكال : العذاب : نكل به تنكيلا : صنع به صنيعا يحذر غيره أن يفعل

---

(١) الشعر والشعراء ، ص ٣٢٨

مثله . أرجى : الرجاء ضد اليأس ، آمل منك الخير وأتوقعه . أنت يا عمر خير من الزبرقان ، أشد منه تعذيبا وتنكيلا بالعصاة والمذنبين وعطاؤك أقرب في الحدوث من عطائه . يعني أن عمر أكرم من الزبرقان .

٣ — تحنن علي : ترحم وترفق بي ، والحنان : رقة القلب وحنانيك : تحنن علي مرة بعد مرة ، وحنانا بعد حنان .
المليك : الله سبحانه وتعالى . مقام : موقف ومناسبة . ومقالا : قولا ارحمني ياعمر هداك الله — وهذا دعاء منه للخليفة بالهداية — فان فكل موقف مقالا يناسبه .

٤ — لا تأخذني : لا تعاقبني . والاخذ الايقاع بالشخص والعقوبة .
الوشاة : جمع واش ، وهو من يسعى بشخص لدى مسئول كحاكم أو وزير أو ما شابهه ليوقع به .
لا تعاقبني — اعتمادا على ما تقله الواشون اليك من أقوال كاذبة فان لكل زمان رجال يقومون بأمره وأنت رجل هذا الزمان .

٥ — زعموا : زعم : قال كاذبا أو صادقا . والغالب أن تستعمل زعم في الكذب . راجلات : ج راجلة : والراجلة من تسير على قدميها فلا تركب بعيرا أو حصانا أو غيرها .
سيقت نسائي رجالا : أي سيقت سبايا راجلات أي سرن على أقدامهن اذ لا لا له ولهن .

٦ — حواسر : جمع حاسرة ، وهي الكاشفة عن رأسها .
الوجى : الحفى وأشد منه . وجي وجى ، فهو واج .
آلا : سرابا . يرفعن آلا : يرين سرابا
ويخفض آلا : ويخلفن سرابا خلفهن .

وهذا كناية عن طول سيرهن في الصحراء حين يرين سرابا بعد سراب .
ويسرن حاسرات الرأس حافيات لا يتذكين الوجى : وهو ما يصيب أقدامهن من طول السير . وهذا يدل على ما يلحق الشاعر من عار لما يصيب نساءه من المتاعب ، كما يعبر عما يصيبهن من ألم وعذاب وإذلال .

حسان بن ثابت

" هو حسان بن ثابت بن المنذر الانصارى ، ويكنى أبا الوليد ، وأبا الحسام • وأمه الفريعة " من الخزرج • وهى جاهلى اسلامى متقدم الاسلام الا أنه لم يشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم مشهدا ، لانه كان [illegible] وكان يضرب بلسانه روثة أنفه ، من طوله ، ويقول : ما يسرني به [illegible] أحد من العرب ، والله لو وضعته على شعر لحلقه ، أو على صخر لفلقه [illegible] وعاش فى الجاهلية ستين سنة وفى الاسلام ستين سنة [illegible] معاوية ، وعمى فى آخر عمره • " (١) ويشك الدكتور شوقى ضيف فى أن حسانا عاش هذه السن الطويلة ويراها سنا تقريبية فيقول " وهو يسلك فى المعمرين اذ يقال انه عاش فى الجاهلية ستين سنة وفى الاسلام ستين أخرى ، وهى سن تقريبية ، فقد قيل انه توفى قبل الاربعين ، وقيل بل سنة خمسين ، وقيل بل سنة أربع وخمسين • " (٢) ولكننا يمكن أن نخلص الى أنه كان من المعمرين •

وقد عرف حسان بن ثابت بأنه لم يكن محاربا ، ولم يكن شجاعا • ومما يدل على ذلك قصة صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول عليه السلام واليهودى : والتى يوردها ابن هشام فى " السيرة " : يقول : " •• كانت صفية بنت عبد المطلب فى " فارع " حصن حسان بن ثابت • قالت : وكان حسان بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان • قالت صفية رضى الله عنها : فمر بنا رجل من يهود • فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم • وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا ان أتانا آت ، قالت : فقلت : ياحسان (٤)

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٠٥

(٢) العصر الاسلامى ، مرجع سابق ص ٧٧

(٥)

ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، واني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل اليه فاقتله ، قال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ما أنا بصاحب هذا ، قالت : فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ، ثم نزلت من الحصن اليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته ، قالت : فلما فرغت منه رجعت الى الحصن . فقلت يا حسان : انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل ، قال مالي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب . (١)

ويقال : ان حسانا اشترك في حادثة الافك التي رميت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وكما يذكر ابن هشام في السيرة ، فان حسان قد أقيم عليه حد القذف . وأن صفوان بن المعطل ، قد اعترض حسانا وضربه بالسيف (٢) ، وان صح هذا ، وقد لا يكون صحيحا فان حسان بن ثابت قد اعتذر عن ذلك فمدح عائشة رضي الله عنها بقوله :

حصان رزان ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتصبح غرثى من لحوم الغَوَافِلِ (٣)
عقيلةُ حيٍّ من لؤيِّ بنِ غالبٍ ... كرام المساعي مَجْدُهم غير زائلِ (٤)
مُهَذَّبةٌ قد طيَّبَ اللهُ خِيمَها ... وطهّرها من كل سوءٍ وباطلِ (٥)

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٣ ، تحقيق نخبة من العلماء ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٠٣٩ ، ١٠٤٠

(٢) انظر تفاصيل ذلك . السيرة ج ٣ ، مرجع سابق ، ص ١١٩ — ١١٢١

(٣) حصان : عفيفة . ورزان ملازمة لموضعها لا تتصرف كثيرا ، وتزن : تتهم . غرثى : جائعة ، يريد أنها لا تنال من عرض أحد . والغوافل : جمع غافلة .

(٤) عقيلة : الكريمة ، والمساعي : جمع مسعاة : وهو ما يسعى فيه المرء من طلب المجد والمكارم .

(٥) مهذبة : صافية مخلصة ، والخيم : الطبع والاصل .

فان كنتُ قد قُلْتُ الذي قد زعمتمُ ... فلا رفعتْ سوطي إليّ أناملي (١)

فكيف وودّي ما حييتُ ونُصْرتي ... لآل رسول اللهِ زينُ المحافلِ (٢)

له رُتَبٌ عالٍ على الناسِ كلهمِ ... تقاصَرُ عنه سَوْرَةُ المتطاولِ (٣)

فإنّ الذي قد قيل ليس بلائطٍ ... ولكنه قول امرئٍ بيَ ماحلِ (٤)

وشعره الجاهلي كما ذكر القدماء يحوي أقل روعة من شعره الاسلامي وان كان كل شعره الاسلامي لم يخل من الروعة . ويقال انه لم يتخلص من الاثر الجاهلي ، ولكنه على أية حال لعب دورا هاما في الدفاع عن الاسلام بشعره وخاصة في المعركة التي دارت بين شعراء المشركين وشعراء الرسول عليه السلام . توفي حسان - فيما يقال - في سنة خمسين للهجرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان .

---

(١) الانامل : جمع أنملة ، وهي طرف الاصبع ، وقد يعبر بها عن الاصبع كله .

(٢) المحافل : جمع محفل : وهو المكان الذي يجتمع فيه الناس.

(٣) رتب : يروى بضم الراء وفتحها ، فأما من رواه بضم الراء فقد أراد جمع رتبة وهي المنزلة ، وأما من رواه بفتح الراء : فقد أراد المجد والشرف والسورة : الوثبة .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١١٣١ - ١١٣٢
ليس بلائط : ليس بلاصق : تقول هذا لا يليط بفلان ، اذا أردت أنه لا يلصق به . والماحل : النمام الواشي الكاذب .

كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى وكان ... شاعرا فحلا مجيدا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه - كما سبق أن ذكرنا - ولكنه بعد اذ عرف أن الرسول سيعاقبه على هجائه اياه ذهب اليه تائبا ومدحه بقصيدته المشهورة " بانت سعاد " :

١ - بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم اثرها لم يفد مكبول

٢ - وما سعاد غداة البين اذ رحلت ... الا أغن غضيض الطرف مكحول

٣ - ويلمها خلة لو أنها صدقت ... موعودها أولو ان النصح مقبول

٤ - لكنها خلة قد سيط من دمها ... فجع وولع ، واخلاف ، وتبديل

٥ - فما تدوم على حال تكون به ... كما تلون في أثوابها الغول

٦ - فلا يغرنك ما منت وما وعدت ... ان الاماني والاحلام تضليل

٧ - تالله لا تمسك العهد الذي عهدت ... الا كما تمسك الماء الغرابيل

٨ - كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيده الا الاباطيل

* ثم قال بعد ذكر ناقته :

[illegible] الغواة بدفيها وقيلهم ... انك يا ابن أبي سلمى لمقتول

١٠ - وقال كل خليل كنت آمله ... لا ألفينك اني عنك مشغول

١١ - فقلت خلوا سبيل لا أبالكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول

١٢ - كل ابن أنثى وان طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء محمول

١٣ - أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

١٤ - ان الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

١٥ - في عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا

١٦ - زالوا فما زال أنكاس ولا كشف ... عند اللقاء ولا ميل معازيل

١٧ - يمشون مشي الجمال الزهر يعصمها ... ضرب اذا عرد السود التنابيل

١٨ - شم العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود في الهيجاء سرابيل

١٩- لا يفرحون اذا نالت رماحهم | قوما ، وليسوا مجازيعا اذا نيلوا
٢٠- لا يقع الطعن الا في نحورهم | ليس لهم عن حياض الموت تهليل
٢١- ان الرسول لسيف يستضاء بـه | مهند من سيوف الله مسلول

أشار الرسول صلى الله عليه وسلم الى الخلق : أن اسمعوا

ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهداه بردته ، وأنه بقي بعد لخلفاء بني أمية فظلوا يتوارثونها حتى انتهت دولتهم .

وتعد هذه القصيدة من أجود ما قيل في مدح الرسول وان كان الشاعر لم يتخلص فيها تخلصا كبيرا من عناصر المدح الجاهلي ، حتى قيل أنه لم يزد على أن مدح الرسول وكأنه أمير من أمراء العرب . ومع هذا فلا تزال هذه القصيدة ذات مكانة خاصة لان الرسول مدح بها أيا كان هذا المدح

الشرح :

١ - بانت : بعدت . متبول : ذهب العشق بعقله . متيم : تاه به المرأة أو العشق أو الحب ، تيما وتيمته تتييما عبدته وذللته . مكبول : الكبل : القيد : والمكبول المقيد .
بعدت سعاد فأصاب العشق قلبي فذلته وذهب بعقلي فأصبحت أسير هواها وكم يفدني أحد حتى أسترد حريتي .

٢ - أغن : طبي أغن : يخرج صوته من خياشيمه . غضيض الطرف : غض طرفه : خفضه ، أو فاتر الطرف . مكحول : اكتحلت عينيها .
شبه سعاد يوم رحل قومها ، بغزال جميل الصوت فاتر العين ، حولها .

٣ - ويلمها خلة : ويلمه : يقال للمستجاد ويلمة : أي ويل لامه فركبوه وجعلوه كالشيء الواحد ، ثم لحقته الهاء مبالغة .
الخلة : الخليلة : والصداقة المختصة لا خلل فيها تكون في عفاف

وفى دعارة · والخلة : الصديق للذكر والانثى والواحد والجميع ·
يصور الشاعر ما أتصفت به حبيبته سعاد من عفاف وما اتصفت به كذلك
من اخلاف للمواعيد ، وأنه لا يجد نجحا لاقامة علاقة أو وصال معها
فهى تعده وتخلفه ·

٤ ـ فجع : الفجع : أن يوجع الانسان بشى · يكرم عليه فيعدمه · وولع :
الكذب · واخلاف · أن تعد عدة ولا تنجزها ، ومنها اخلاف الوعد ·
وتبديل : تغيير · سيط من دمها : السوط : الخلط ، أو هو أن تخلط
شيئين فى انائك ثم تضربهما بيدك حتى يختلطا ·
لكنها حبيبة قد اختلط بدمها الفجع ، والكذب واخلاف الوعد ، والتغير
فى موقفها من حبيبها ·

٥ ـ الغول : شيطان يأكل الناس أو السعلاة ، أو الداهية
يصور تغيرها فى معاملته ، بقوله : انها لا تدوم على حال تكون به ،
بل تتلون فى ألوان مختلفة كما تفعل الغول ·

٦ ـ غره : خدعه · مناه : جعله يتمنى شيئا ، كأنه وعده بتقديمه له
أو مساعدته عليه ·
لا تنخدع بما تمنيك من الامانى ، وما تعدك من الوعود ، فان الامانى
خداع وتضليل ·

٧ ـ عهدت : وعدت · الغربال : آلة خاصة لتنقية الحبوب ·
والله لا تمسك بالعهد الذى تعد به ، الا كما تمسك بالماء الغرابيل ·

٨ ـ عرقوب : رجل ضرب المثل بخلفه للوعد ·
مثلها فى اخلاف الوعود مثل عرقوب المشهور باخلاف الوعد ·
وما مواعيد عرقوب الا الاباطيل ·

٩ ـ الغواة : جمع غاو : والغاوى : من ضل وغواه غيره ·

يدفيهما : السدف : بالفتح : الجنب من كل شيء أو صفحته .
يمضي الى جوار ناقتي ناس (يسميهم هو الغواة) يحذرونه وينذرونه من الاقدام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويؤكدون له انه مقتول لا محالة .

١٠ - الخليل : الصديق . آمله : الامل : الرجال ، وأمله : رجاه ، وآمله : أرجوه .
وقال كل صديق حميم كنت أرجو لمعاونتي على الحصول على عفو رسول الله ، اني مشغول بأموري .

١١ - خلو سبيلي : اتركوني أذهب ولا تقفوا في طريقي
قلت لهؤلاء الذين خوفوني من غضب رسول الله ، اتركوني أمضي في طريقي اليه فكل ما قدر الرحمن لابد نافذ .

١٢ - آلة : سرير الميت ، وما اعتملت به من أداة . حدباء : الحدب : خروج الظهر ، ودخول الصدر والبطن . ابن أنثى : كناية عن الانسان (رجلا أو امرأة) .
كل انسان أو كل رجل مهما طال عمره لابد أن يموت وأن يحمل يوما على سرير الميت وهو سرير أحدب غير مريح . يعني أن الموت لا مفر منه ، فالانسان لابد ميت .

١٣ - أوعدني : أنذره بالشر والعقاب . مأمول : مرجو ، أو متوقع . أنبئت أي أخبرت .
أخبرني الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنذرني بالقتل ، وهددني بالعقاب . وأنا آمل وأطمع في عفوه عني ومثله يتوقع منه العفو .

١٤ - يستضاء به : يهتدى به كما يهتدى بالضوء أو النور . مهند : هندي سل السيف : أخرجه من غمده .

يشبه الرسول بالسيف ، وبأنه نور يهتدى به ، وهذا السيف المضىء المنير الذى يهتدى بضوئه سيف من أجود السيوف فهو سيف مهند سل من غمده أى معد للقتال دائما .

١٥ ـ عصبة : العصبة مابين العشرة الى الاربعين . زولوا : يقصد : هاجروا قائلهم : هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه أو هو أبو بكر رضى الله عنه فى جماعة من قريش قال قائل من المسلمين هاجروا .

١٦ ـ الكشف : الاكشف : من ينهزم فى الحرب ، أو من لا ترس معه أو من لا بيضة على رأسه . هاجروا : زولوا . الميل : جمع أميل وهو الجبان المعازيل : الاعزل : من لا سلاح معه .

هاجروا ، فما هاجروا هجرة الجبان ، ولا كانوا يوم اللقاء والحرب عزل من السلاح أو جبناء ، فهم شجعان وهم رجال الحرب والقتال وسلاحهم فى أيديهم دائما يدفعون به عدوان من يعتدى عليهم .

١٧ ـ الزهر : نوع من الجمال . عرد : عرد تعريدا : هرب . التنابيل : القصار . يعصمها : يقيها ، ويمنعها .

يمشون مشية الجمال الزهر ، وهذا كناية عن الوقار ، والثقل ان لهم لوقارا اذا مشوا ، ويحميهم من عدوهم ضرب " شديد " أذا جبن وهرب السود القصار .

١٨ ـ شم العرانين : العرنين : الانف كله ، أو ماصلب من عظمه . والشم ارتفاع قصبة الانف وحسنها ، واستواء أعلاها . الاشم : السيد ذو الانفة نسج داود : كناية عن الحديد . السربال : القميص أو الدرع أو كل ما لبس . وشم العرانين : كناية عن اباء الذل والضيم والهوان .

هم قوم لا يقبلون ضيما ولا مهانة ولا ذلا . أبطال شجعان يلبسون دروعا من الحديد فى أثناء المعارك .

١٩ـ الجزع : نقيض الصبر . نالهم العدو : انتصر عليهم . نالوه : انتصروا هم عليه .
اذا قتلت رماحهم قوما أو هزمتهم لا يفرحون بهذا ، ولا يشتد [illegible]
أو ينفذ صبرهم ، اذا نالت رماح عدوهم منهم أى اذا هزموا .
يقابلون النصر والهزيمة كليهما وكأنهما شئ طبيعى ، فلا يفرحهم النصر ولا تحزنهم الهزيمة ، بل يصبرون عند الهزيمة ولا يغترون بالنصر ، فالحرب سجال ، يوم لك ويوم عليك .

٢٠ ـ لايقع طعن العدو الا فى نحورهم أى فى رقابهم من الامام ، وهذا كناية عن الثبات فى المعركة وعدم الفرار ، وحياض الموت : جعل للموت حياضا كحياض الماء التى يشرب منها الناس والحيوان ، [illegible] نكص وجبن وفر . هم اذا يقدمون على الموت ويشربون من حياضه دون جبن أو فرار .

عصر بنى أميّة

عصر بني أميـــة (١)

اذا كان عصر صدر الاسلام يمثل تغييرا شاملا في حياة العرب الجاهلية ، حيث نقلهم من حياة القبيلة الى حياة المجتمع وأزال كثيرا من قيمهم الاجتماعية والاخلاقية ، وجاءهم بدين جديد يعني بالصغير والكبير ، ويهيئوهم لكي يكونوا أمة واحدة ، لها نظمها وقوانينها الجديدة اذا كان الاسلام قد فعل هذا بالعرب ، واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أنشأ دولة اسلامية في المدينة ، وتولى رئاسة هذه الدولة الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية في ظل تعاليم الدين الجديد حيث استطاع أن يسيطر على جزء كبير من الجزيرة العربية ، ثم جاء الخلفاء من بعده يتطلعون لتوسيع رقعة دولتهم ، ونشر تعاليم دينهم فان الامويين كان حكمهم حكم التغلب ، ودولتهم دولة جديدة انتزعت ملكها بحد السيف وبالمؤامرات السياسية ، ولم تهتم في الوصول الى غرضها بشيء . حقا تطبق الشريعة الاسلامية ، ولكن حاكمها مطلق اليد في كل شيء ، ولم تخل من الظلم والعسف ، واثارة العصبية بين المسلمين . ولذلك فان تلك الدولة التي امتد حكمها فترة زمنية طويلة من ٤١ - ١٣٢ هـ ، واستطاعت بسط نفوذها الى أقصى مدى وصلت اليه مما يجعل الباحثون يلتمسون لهم العذر فيما اقترفوه من قهر وعسف على يد ولاتهم أو على أيديهم هم أنفسهم . وكان الصراع بين العصبية ، أو بعبارة أخرى بين القحطانية والعدنانية ، والصراع بين الاحزاب السياسية من سمات ذلك العصر . ولذا نشأت الاحزاب السياسية ، كالخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية ، والزبيريون . وهلم جرا .

ولقد كان للسياسة الاموية أثرها في نهضة الشعر في هذا العصر فقد شجع الخلفاء الامويون والولاة الشعراء بالعطاء الجزيل على ما يقدمون

---

(١) الشعر والشعراء ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٥٩١ ، ٥٩٢

من صدح فانبرى الشعراء في مدحهم مستخدمين فيها اسلامية وغير اسلامية كالنكاية في العدو ، والنفع والضر ، والعطاء للاتباع ، وحرمان الخصوم وغير ذلك من المعاني . كما انتشر الهجاء بصورة تتفاوت من السخرية الى الاقذاع . ومن السخرية قول الطرماح بن حكيم يهجو بني تميم :

لا عزّ نصر امرئٍ أمسى له فَرَسٌ	على تميم يريد النصر من أحَدِ
لو حانَ ورد تميم ثم قيل لها	حوض الرسول عليه الأزْدُ لم ترِدِ
أو أنزل الله وحيا أن يعذبها	إن لم تعد لقتال الأزد لم تعُدِ
وكل لؤمٍ أبان الله أثلته	وباللؤم قُبّتُه لم ينقص ولم يزد
قومٌ أقام بدار الذل أولهم	كما أقامت عليه جذمة الوتِدِ
فاسأل قتيرةَ بالشّروت هل شهدت	عَتْبَ الحطيئة بين الكسر والنضدِ
أم كان في غالبٍ شعرٌ فيشبههم	شعر ابنيه فينال الشعر من صَدَدِ
جاءت به من شَرٍّ ماءٍ صرّه	سيقت إلى شرّ وادٍ شُقَّ في حَدَدِ
لا تأمنَنَّ تميمًا على حسبٍ	قد مات ، مالم تزايلْ أعظمُ الجسدِ

والمقطوعة تتضمن هجاء بالجبن والضعف ، واللوم والذم ، وهي قيم قديمة ، ولكن الشاعر يصوغها صياغة ساخرة ، كما يصفهم بالخيانة والانحلال الخلقي والجديد هنا هو الهجاء الساخر الذي لم يخل من أثر الاسلام كما نرى في البيت الثالث . ويأتي هذا الهجاء بما فيه من اقذاع رغم اسلام الشاعر ، واعتناق الناس للدين الاسلامي ، اذ كانت الظروف السياسية والاجتماعية تساعد على ذلك ، ومن ذلك أمثلة الهجاء ،

ذلك الهجاء : ما يقوله الفرزدق خارجا فيه على كل ما ينهى عنه الدين من قذف المحصنات : يقول ابن قتيبة : " ولما هجا الفرزدق بني منقر بسبب ظمياء ، وهي عمة اللعين (الشاعر) المنقري ، فقال :

وأمون عيب المنقريّة أنها ... شديد بيطن الحنظليّ لصوقها
رأت منقراً سودًا قصارًا وأبصرت ... فتى دارميا كالهلال يروقها
فما أن هجت المنقريّة للصبى ... ولكنها استعصت على عروقها

استعدوا عليه زيادا ، فهرب الى المدينة وعليها سعيد بن العاصي ، فأمنه وأجاره وأظهر زياد أنه لم يرد به سوءا ، وأنه لو أتاه لحياه وأكرمه فبلغ ذلك الفرزدق فقال :

دعاني زياد للعطاء ولم أكن ... لأقربه ما ساق ذو حسب وفرا
وعند زياد لو يريد عطاءهم ... رجال كثير قد يرى بهم فقرا
ولاني لاخشى أن يكون عطاؤه ... أداهم سودا محدرجة سمرا

... (١)

ومن الملاحظ أن سعيد بن العاص الوالي الاموى يحمي الفرزدق في حين يعاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة لهجائه الزبرقان . مما يدل على أن الهجاء لم يعد محظورا من قبل الخلافة الاموية الا اذا وجه للخليفة أو لولاته . وأنه يؤدى وظيفة سياسية في ظل العصبية التي أثارها الامويون .

وليس من العجيب اذن أن يهجو الاخطل وهو نصراني الانصار بقوله :

ذهبت قريش بالسماحة والندى ... واللؤم تحت عمائم الانصار
فذروا المعالي لستم من أهلها ... وخذوا مساحيكم بني النجار

وأن يحميه منهم يزيد بن معاوية (٢)

---

(١) الشعر والشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٤٧٧ ، ٤٧٨

(٢) انظر المرجع نفسه ، ص ٤٨٤

ويدخل الاخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف بن عمرو عنده وهو يقرب مجلسه فيقول الأخطل لعبد الملك مشيرا له على الجحاف :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات الرجال كما هيا

فيضربه عبد الملك بقدمه في صدره ، فيسقطه من فوق سريره ، ويكاد يفتك به ، ولما يخرج الجحاف لا يصدق بالنجاه ينتقم من بني تغلب قبيلة الاخطل ويقتل منهم مقتلة عظيمة ردا على ما عرضه له الشاعر من الخطر (١) ويورد ابن قتيبة الخبر بصورة أخرى ، فيقول :

" ولما قتلت بنو تغلب عمير بن الحباب السلمي أنشد الاخطل عبد الملك بن مروان ، والجحاف السلمي عنده ، في شعر له :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فخرج الجحاف (من فوره ذلك) مغضبا حتى أغار على البشر وهو ماء لبني تغلب ، يقتل منهم ثلاثة وعشرين رجلا ، وقال :

أبا مالك هل لمتني مذ حضضتني على القتل ، أم هل لامني منك لائم
متى تدعني أخرى أجبك بمثلها وأنت امرؤ بالحق ليس بعالم

فخرج الاخطل حتى أتى عبد الملك بن مروان وقد قال :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول
فالا تغيرها قريش بملكها يكن عن قريش مستماز ومزحل

فقال له عبد الملك : الى أين يا ابن اللخناء ؟ قال : الى النار يا أمير المؤمنين ، قال : أما والله لو غيرها قلت لضربت عنقك " (٢)

---

(١) انظر :
(٢) الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص ٤٨٥

فالعصبية ظاهرة بين الرجلين ، وأما الخليفة فالقتل يقع منه دونما سبب ولو على القول ، وهو هنا يخالف مسلك الخلفاء الراشدين السابقين الذين كانوا يتحرجون فيما هو أقل من القتل بكثير ٠

ويسف المتهاجيان في الهجاء ، ولا يحتشمان أن يذكرا مالا يليق ذكره ويعبر كل واحد منهما الاخر بضعة أصله ـ ناسيا أو متناسيا " كلكم لادم وآدم خلق من تراب ٠ ولا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى ٠ كما يعير خصمه بالجبن ، وضعة الاصل ، وقلة الغناء في الحروب ٠

ومن أمثلة التهاجي الفاحش قول جرير ويهجو الاخطل :

تسوف التغلبية وهي سكرى	قفا الخنزير تحسبه غزالا
من المتولجات على النشاوى	ولا تلج الغدور ولا الحجالا
تظل الخمر تخلج أخدعيها	وتشكو في قوائمها امذلالا
اذا انفتقت عباءتها وضاقت	رأى الراؤون داهية عضالا (١)

ولا نستطيع أن نتجاوز ما ينبغي فنذكر ما يذكره الشاعر من ألفاظ غير لائقة ٠ ويستخدم جرير في مهاجمته للفرزدق انحلال الاخير ، وضعف دينه ، كما يهاجم الاخطل لانه مسيحي يشرب الخمر ، ويأكل لحم الخنزير الى غير ذلك من الامور فهو يستلهم الاسلام حتى في أهاجيه (٢)

ولا نريد أن نطيل في هذا الموضوع فليس هذا هدفنا ، وانما أردنا فقط أن نشير الى التغير الذي حل بالشعر في العصر الاموي فقد تجاوز الشعراء في ذلك حتى ما كان الناس يتوقعونه ولم يحدث في العصر الجاهلي من فحش في الهجاء ٠

---

(١) ديوان جرير ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ١٠٧٥

(٢) العصر الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥

وقد أخذ الهجاء بين الفحول الثلاثة في العصر الاموى وهم الفرزدق وجرير والاخطل صورة النقائض • وهي قصائد كان يرد بها الشاعر المهجو على من هجاه على نفس الوزن والقافية • والباحثون لايرون أن تلك النقائض كانت تعبر عن عداء حقيقي بين أولئك الشعراء ، ولا بين قبائلهم ، بل يرون أن هذه النقائض كانت فنا • يقول أستاذنا الدكتور شوقي ضيف عن النقائض : " وبذلك تحولت النقائض من غاية الهجاء الخالص الى غاية جديدة هي سد حاجة الجماعة الحديثة في البصرة الى ضرب من ضروب الملاهي • "(١)

ويقول أيضا :" ولعل في هذا ما يدل أكبر الدلالة على أن النقائض عند الشاعرين الكبيرين جرير والفرزدق انما كان يقصد بها قبل كل شيء الى تملية الجماعة العاطلة التي تكونت في المدينتين الكبيرتين البصرة والكوفة • وقد بدأت بأسباب قبلية ، ولكنها تطورت الى مناظرة يراد بها ملء أوقات العاطلين ، وهي مناظرة كانت تقاطع بالتهليل والتصفيق ومن ثم لم تأخذ شكلا جادا من أشكال الهجاء المعروفة عند العرب، ولو أنها أخذت شكلا من هذه الاشكال لشهرت معها السيوف ، وخاصة حين يأخذ الفرزدق في قذف نساء العشائر والامهات والاخوات ، انها لم تعد هجاء بالمعنى القديم • بل أصبحت فنا يقصد به الى امتاع الناس في البصرة وقطع أوقات فراغهم • "(٢)

حقا ان هذه النقائض لم تعد هجاء بالمعنى القديم ، ولكنها كانت تؤخذ مأخذ الجد - أحيانا - كما في قصة الراعي النميري وجرير، فقد كان لهجاء جرير أثر كبير في نفوس بني نمير وشاعرهم الراعي (٣)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٢
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٠

(٣) الاغاني ، ج ٨ ، مصدر سابق ، ص ٢٧٧٥ - ٢٧٧٨

كما أن هجاء الاخطل للجحاف بن عمر أحدث واقعة " البشر " المعروفة والتي أوقعها الجحاف ببني تغلب قوم الاخطل ، ولكن لاشك أن هجاء جرير والفرزدق وأناس غيرهم ظلا قنا فوليا ليس غير .

يرى الدكتور عبد القادر القط أن شعر النقائض لم يكن يؤخذ مأخذ الجد من معاصريها ، بل كان يمثل سخرية وفكاهة يقبلها المجتمع فيقول : " والنقيضة في الاغلب تدور حول محورين أساسيين أولهما ما أشرنا اليه من فخر وهجاء قبلي ، والثاني فحش من القول يتناول أعراض الامهات والزوجات والاخوات ونساء القبيلة بوجه عام . فيه قدر غير قليل من الطرافة والفكاهة والسخرية اللاذعة . والناظر في أمر هذه الصور الفاحشة يدرك أن المتناقضين ، ومن يتلقون شعرهم ، لم يكونوا يأخذون الامر مأخذ الجد والا لكان أقل قليلة كافيا لاراقة الدماء .. " (١)

ولكن هذا لايعني أن الناس كانوا يتلقون الهجاء على أنه أمر طبيعي ، بل كانوا يخشونه ، ويحاولون استرضاء الشاعر اذا ما بدر من أحد من قبائلهم ما يسيء الى الشاعر . يقول صاحب الاغاني : " ..كان فتى في بني حرام بن سماك يقال له شويعر ، قد هجا الفرزدق ، فأخذناه فأتينا به الفرزدق ، وقلنا هو بين يديك ، فان شئت فاضرب ، وان شئت فاحلق لا عدوى عليك ولا قصاص ، فخلى عنه ، وقال :

فمن يك خائفا لاذاة قولي	فقد أمن الهجاء بنو حرام
هم قادوا سفيههم وخافوا	قلائد مثل أطواق الحمام (٢)

ومع احترامنا لكل الاراء السابقة ، فان التطور الذي أصاب النقائض

---

(١) في الشعر الاسلامي والاموي ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٢) الاغاني جـ ٢١ ، مصدر سابق ، ص ٢٩٧ ، وانظر قصته مع الانصاري وموقف الانصار من الشاعر ، واعتذارهم له في المصدر نفسه ، ص ٣٧٠ ــ ٣٧١

أو أصاب الهجاء وحوله الى نقيضه كان تطورا شكليا لاينفذ الى لباب القصيدة أي (النقيضة) فمادتها جاهلية وقيمها جاهلية ، بل انها تسف بأكثر ما كان الجاهليون يفعلون ، وهي وان استعانت ببعض القيم الجديدة لم تتخلص من القديم وذلك خلافا لرأى أستاذنا الدكتور شوقي ضيف (١) .

ومع ذلك ظل المديح هو وظيفة الشاعر الاولى سواء كان مديحا للخلفاء والولاة أو غيرهم ، وكان الشعراء يلبسون لكل حال لبوسها ، وليس أدل على ذلك من موقف الشعراء من عمر بن عبد العزيز الذي ما كان يريد مديحا ، ولا يرى للشعراء حقا في مال المسلمين لان للزكاة مصارفها المعروفة في الاسلام (٢) فقد أعد أولئك الشعراء له شعرا يتضمن القيم والمبادئ التي يتمسك بها ، ويشيرون الى ما عرف به من العدل والزهد ، يقول جرير :

قد طال قولي اذا ما قمت مبتهلا	يارب أصلح قوام الدين والبشر
خليفة الله ثم الله يحفظه	والله يحفظك الرحمن في الشعر
انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا	من الخليفة ما نرجو من المطر
يارب سجل مغيث قد نفحت به	من نائل غير منزوح ولا كدر
أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت	أم قد كفاني الذي بلغت من خبري
ما زلت بعدك في دار تعرفني	قد عيّ بالحي اصعادي ومنحدري (٣)

ويكرر الشاعر الالفاظ التي تتصل بالدين . فيكرر اسم الله في البيت الثاني أربع مرات للتأثير على الخليفة التقي ، ثم يأتيه من هذه الناحية كذلك حال قومه وما نزل بهم من ضر وكأنه يذكره مسئوليته عن المسلمين

---

(١) التطور والتجديد في الشعر الاموي ، ص ١١٢

(٢) الاغاني جـ ٨ ، مصدر سابق ، ص ٢٧٩٤

(٣) ديوان جرير ، المجلد الاول . تحقيق الدكتور / نعمان محمد امين طه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٤١٤ ، ٤١٥

فيقول :

كم بالمواسم من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به ... قسًا من الجن أو خبلًا من النشر
ممن يعدك تكفى فقد والده ... كالفرخ فى العش لم يدرج ولم يطر
فإن تدعهم فمن يرجون بعدكم ... أو تنج منها فقد أنجيت من ضرر
خليفة الله ماذا تأمرون بنا ... لسنا إليكم ولا فى دار منتظر
أنت المبارك والمهدى سيرته ... تعصى الهوى وتقوم الليل بالسور
أصبحت للمنبر المعمور مجلسه ... زينًا وزين قباب الملك والحجر
نال الخلافة إذ كانت له قدرا ... كما أتى ربه موسى على قدر
فلن تزال لهذا الدين ما عمروا ... منكم عمارة ملك واضح الغرر (١)

ويظهر فى عصر بنى أمية أثر الثقافة الاسلامية واضحا فى شعر الشعراء ، حتى فى الهجاء نفسه • اذ أصبحت تلك الثقافة زاد الشاعر بعد أن كان الشاعر فى العصر الاسلامى يعتمد على الشعر الجاهلى وحده • فأصبح الشاعر فى عصر بنى أمية يستمد من الشعر الجاهلى ومن الثقافة الاسلامية •

ويظل المديح والهجاء هما الفنان اللذان يتيحان للشاعر مكانة اجتماعية كبيرة فى عصره • فالشاعر يمدح من بيده السلطان ، ويهجو خصومه ، أو يهجو خصوم قبيلته ، أو خصومه هو شخصيا • وكان فى الغالب مضطرا الى التكسب بشعره • وفى حياة جرير والفرزدق والاخطل ما يدل دلالة قاطعة على أن المديح كان أساس مرتزق الشعراء ، وأن الهجاء كان يوطد مكانة الشاعر الاجتماعية والادبية •

---

(١) ديوان جرير : مصدر سابق ، ص ٤١٥ ، ٤١٦

فالاخطل مثلا أبهج شاعر بني أمية لانه هجا الانصار بتحريض من يزيد بن معاوية ، لان شعراء الانصار كانوا يهجون الامويين . ولان عبد الرحمن بن حسان تغزل " برملة " ابنة معاوية . وظل الاخطل شاعر البلاط الاموي غير منازع حتى وفاته ، رغم مسيحيته . بل ان جريرا لم يطمئن على مستقبله كشاعر حتى مدح الحجاج بن يوسف دون أن يدعوه الحجاج الى مدحه . ويبدو أنه توسل به ليتمكن من أن يصبح شاعرا يمدح خلفاء بني أمية وينال عطاءهم . وقد غضب عليه عبد الملك بن مروان أما لانه كان زبيري الهوى (١) ، وان لم يعرف ذلك عنه صراحة ، أو لان قبيلته كانت ممن خرج على بني أمية وتشيعوا لعلي رضي الله عنه . وقد ورد في أشعار جرير ما يشير الى هذا حيث قال وهو يمدح هشام ابن عبد الملك .

لا تجفون بني تميم انهم ... تابوا النصوح واجمعوا حسن الهدى
من كان يمرض قلبه من ريبة ... خافوا عقابك وانتهى أهي النهى (٢)

ومن ثم يصور لنا صاحب الاغاني دخول جرير على عبد الملك بن مروان بعد أن أصر الاخير على ألا يقبل منه مدحا ، وأن يقصر مدحه على الحجاج مذكرا الشاعر بما قاله في مدح الحجاج بن يوسف ، قائلا له : " وما عسانا أن نقول فينا بعد قولك في الحجاج : ألست القائل :

من سد مطلع النفاق عليكم ... أم من يصول كصولة الحجاج

ان الله لم ينصرني بالحجاج ، وانما نصر دينه وخليفته ، أو لست القائل :

أم من يغار على النساء حفيظة ... اذ لا يثقن بغيره الازواج

---

(١) طبقات الشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص [illegible] ، حيث يقول : " كان عبد الملك ابن مروان لا يسمح لشعراء مضر ، ولا يأذن لهم لانهم كانوا زبيرية "

(٢) ديوان جرير ، ج ١ ، ص ٥

يا عاض كذا وكذا من أمه ، والله لهممت أن أطير بك طيرة بطيئا سقوطها احرج عني ، فأخس بشر . " (١)

وقبل أن يسمح عبد الملك بن مروان لجرير بمدحه ، قال جرير لمحمد ابن الحجاج الذي كان قد أزمع السفر عائدا الى العراق بعد أن يئس من رضاء الخليفة عبد الملك بن مروان عن جرير ، واصراره على ألا يسمع مديحه فيه بعد أن مدح الحجاج ذلك المديح الرائع : " ان رحلت عن أمير المؤمنين ولم يسمع مني ، ولم آخذ له جائزة سقطت الى آخر الدهر ، ولست بارحا أو يأذن لي في الانشاد . وأمسك عبد الملك عن الاذن له فقال جرير : ارحل أنت وأقيم أنا . فدخل على الملك وأخبره بقول جرير واستأذن له وسأله أن يسمع منه ، وقبل يده ورجله فأذن له " (٢) بل ان الفرزدق على غروره وكبريائه كان مادحا متكسبا ، يلتمس العطاء في أي مكان حتى في مصر ، كما فعل غيره من الشعراء .

وهذا كله يدل على أن مكانة الشاعر كان يوطدها ويرسخها اجادته لفني المديح والهجاء ، لانهما وسيلتاه للارتزاق ، ولكن هذا لايعني أن الناس أو النقاد ، أو الخلفاء أيضا كانوا لا يقدرون شعر الغزل أو الرثاء أوغيرها من فنون الشعر . بل كانوا يقدرونه ويثيبون عليه ، وقد شهد هذا العصر تطورا واسعا في أغراض الشعر العربي المختلفة ، من رثاء وغزل وفخر وغيرها .

---

(١) الاغاني ، ج ٨ ، مصدر سابق ، ص ٢٨١٢

(٢) نفسه ، ص ٢٨١٢ ــ ٢٨١٣

جريــــر (ت ١١٤ هـ)

جرير بن عطية الخطفي ، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة ، ويكنى أبا حزرة ولقب الخطفي . وتذكر قصة طريفة في سبب تسميته باسمه " جرير " ، يذكرها صاحب الاغاني فيقول : " رأت أم جرير وهي حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود ، فلما سقط منها جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثير ، فانتبهت فزعة فأولت الرؤيا فقيل لها : تلدين غلاما شاعرا ذا شر وشدة وشكيمة ، وبلاء على الناس ، فلما ولدته سمته " جريرا " باسم الحبل الذى رأت أنه خرج منها . قال : والجرير : الحبل (١).

" وهو والفرزدق والاخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعا ، ومختلف في أيهم المقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم الا تعرض لهم فافتضح وسقط ، وبقوا يتصاولون ، على أن الاخطل انما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أسن ونفد أكثر عمره ، وهو وان كان له فضله وتقدمه فليس بنجره من نجار هذين في شيء " (٢).

وقال أبو الفرج أيضا : " اتفقت العرب على أن أشعر أهل الاسلام ثلاثة : " جرير والفرزدق والاخطل ، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض قال محمد بن سلام : والراعي معهم في طبقتهم ، ولكنه آخرهم والمخالف في ذلك قليل . وقد سمعت يونس يقول : ما شهدت مشهدا قط ، قد ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجتمع على أحدهما ، وكان يونس فرزدقيا " وقال أبو الفرج أيضا . " قال ابن سلام . وقال ابن دأب : الفرزدق

---

(١) الاغاني ، ج ٨ ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الشعب ،القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٢٧٩٥

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٥٠

أشعر عامة " وجرير أشعر خاصة ، وقال أبو عبيدة : كان أبو عمرو يشبه جريرا بالاعشى ، والفرزدق بزهير ، والاخطل بالنابغة . قال أبو عبيدة : يحتج من قدم جريرا بأنه كان أكثرهم فنون شعر ، وأسهلهم ألفاظا ، وأقلهم تكلفا ، وأرقهم نسيبا ، وكان دينا عفيفا ، وقال عامر بن عبد الملك جرير كان أشبههما ، وأنسبهما "(١) وقد توفي جرير سنة ١١٤ هـ .

ويعرف جرير بالعفة ، مع حسن تشبيبه : يقول ابن قتيبة : ".. وكان مع حسن تشبيبه عفيفا ، وكان الفرزدق فاسقا ، وكان يقول : ما أحوجه مع عفته الى صلابة شعري ، وما أحوجني الى رقة شعره لما ترون ."(٢)

ويتسم غزله بالرقة والجمال والعفة ، وكان جرير نفسه يدرك هذا " .. قال : لولا ما شغلني من هذه الكلاب (يقصد الشعراء الذين يهجونه فيضطر الى هجائهم) لشببت تشبيبا تحن منه العجوز الى شبابها كما تحن الناقة الى شعبها "(٣)

وقد كان الفرزدق هجا جريرا لانه اشترى جارية ، فكرهت عشرته ، وذلك بعد أن صرح جريرا بالقصة : يقول ابن سلام : " واشترى جرير جارية من رجل من أهل اليمامة ، يقال له زيد ، يعرف بابن النجار فعركته وكرهت خشونة عيشة ، فقال :

تكلفني معيشةَ آل زيدٍ ومن لي بالمرقّقِ والصِّنابِ
وقالت : لاتَضُمُّ كضَمِّ زيدٍ وما ضَمِّي وليس معي شبابي

فقال الفرزدق :

لئن فَرَكَتْكَ عِلْجَةُ آل زيد وأعوزكَ المرقّقُ والصِّنابُ

---

(١) الاغاني ، جـ ٨ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٥١
(٢) ، (٣) الشعر والشعراء ، جـ ١ ، مرجع سابق ، ص ٤٦٦

لقد ما كان عيرُ أبيك جدباً بعيشر بما تعيش به الكلابُ (١)

ويتحين جريرا الفرصة ليهجو الفرزدق لانه تزوج حدراء بنت زيق وهي مسيحية على المهر الذي حكم به أبوها : " قد خل على الحجاج فعزله وقال تزوجتها على حكمها (وحكم أبيها مائة بعير ، وهي نصرانية وجئتنا متعرضا أن نسوقها عنك ، اخرج . مالك عندنا شيء . فقال عنبسة بن سعيد ، وأراد نفعه : (أيها الامير) ، انما هي من حواشي ابل الصدقة ، فأمر له بها الحجاج . فوثب عليه جرير فقال :

يَازِيقُ قد كنْتَ من شيبانَ في حَسَبٍ يازيقَ ويحك من أنكحتَ يازيق ؟

أنكحت ويلك قينا ... ... يازيق ويحك أن بارت بك السوقُ ؟

غاب المثنى فلم يشهد بخيكُم والحوفزان ، ولم يشهدك مفروق

ياربَّ قائلة بعد البناء بها لا الصهر راضٍ ولا ابن القين معشوق

أين الاولى استنزلوا النعمان ضاحية؟ أم أين أبناء شيبان الغرانيق؟ (٢)

---

(١) طبقات الشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٩٢

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٢ - ٣٩٣ ، وانظر ايضا الاغاني ج ٨ ، مرجع سابق ص ٢٨٣١ - ٢٨٣٢ .

الاخطل (ت ٩٢ هـ)

هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة ، من قبيلة تغلب ، والاخطل لقب غلب عليه ، اما لسفاهته ، أو لاضطراب كلامه ـ كما يقال ـ(١) ، " وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ، ومحله في الشعراء أكبر من أن يحتاج الى وصف وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة ، فجعلها ابن سلام أول طبقات الاسلام ولم يقع اجماع على أحدهم أنه أفضل ، ولكل واحد منهم طبقة تفضله عن الجماعة "(٢).

اتخذه عبد الملك بن مروان شاعرا لبني أمية ولقبه بذلك ، وكانت منزلته كبيرة لديه " .. كان الاخطل يجيء وعليه جبة خز وحرز خز ، في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب تنقض لحيته خمرا ، حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير اذن "(٣).

وكان عفيفا اذا هجا ، " وكان مما يقدم به الاخطل أنه كان أخبثهم هجاء في عفاف عن الفحش . وقال الاخطل : ما هجوت أحدا قط بما تستحي العذراء أن تنشده أباها "(٤).

وأكثر ديوانه في المدح والهجاء(٥) ووصف الخمر ، أما اكثاره من المديح

---

(١) الاغاني ، جـ ٨ ، مصدر سابق ، ص ٣٠٢٦ ـ ٣٠٢٨ ، وانظر الدكتور سيد غازي الاخطل شاعر بني أمية . دار المعارف ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٤١

(٢) نفسه ، ص ٣٠٢٨

(٣) نفسه ، ص ٣٠٤٥

(٤) نفسه ، ص ٣٠٤٦

(٥) انظر الاخطل شاعر بني أمية . ص ٤١ حيث يرى الدكتور سيد غازي أن اللون الشعري الذي يبدأ به الاخطل قول الشعر كان الهجاء .

والهجاء فلأنهما الفنان اللذان منحاه مكانته لدى الامويين ، فهو شاعرهم يمدحهم ويهجو خصومهم • وقد كانت له على عبد الملك بن مروان دالة شديدة ومكانة كبيرة — كما قلنا • ويقال انه حاول ادخاله في الدين الاسلامي ولكن الاخير آثر البقاء على مسيحيته ومع ذلك فلم يكن مسيحيا متدينا ، بل كان مطعونا في دينه • وله مواقف طريفه مع جرير في بلاط عبد الملك بن مروان ويرجح بعض الباحثين " أن الاخطل كان شابا في عهد معاوية ، وكهلا في عهد يزيد الذى لم تدم خلافته أكثر من أربع سنوات ، مما يدل على أن الاخطل كان قد شارف الاربعين أو تجاوزها قليلا في نهاية خلافة معاوية • وفي نهاية خلافة عبد الملك وبداية خلافة الوليد سنة ست وثمانين ، يكون عمر الاخطل ما بين الستين والخامسة والستين ولا يتوفى سنة اثنين وتسعين للهجرة ، الا ويكون قد بلغ السبعين أو أكثر قليلا " (١) .

وقد كان موقف الاخطل دقيقا بين الشاعرين المعاصرين له وهما جرير والفرزدق ، فهو مسيحي ، وهما مسلمان ، ولكنه عرف ما يجب عليه جيدا ، وعرف الحدود التي يتحرك في اطارها ، فهو يبتعد عن دين الاسلام ، ويرفض اعتناقه (٢) ، ولكنه ما كان ليجرؤ على هذا الدين الذى تستمد منه الخلافة الاموية وجودها ، وقد تسامح معه الامويون فيما يتصل بالخمر وبالعقيدة ، ولكنه على أية حال كان بحق شاعر بني أمية يمدحهم ويهجو عدوهم قال عبد الملك بن مروان : " ان لكل قوم شاعرا ، وان شاعر بني أمية الاخطل " (٣) .

وقد فضل الفرزدق على جرير ، بعد أن أمره بشر بن مروان بالحكم

---

(١) شرح ديوان الاخطل ، ص ٢٢

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣٦

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤٠

بينهما ، فاشتعل الهجاء بينه وبين جرير : قال أبو الفرج : " اجتمع الفرزدق وجرير والاخطل عند بشر بن مروان ، وكان بشر يغري بين الشعراء فقال للاخطل : احكم بين الفرزدق وجرير ، فقال اعفني أيها الامير ،قال احكم بينهما ، فاستعفاه بجهده فأبى الا أن يقول فقال : هذا حكم مشئوم ثم قال : الفرزدق ينحت من صخر ، وجرير يغرف من بحر ، فلم يرض بذلك جرير ، وكان سبب الهجاء بينهما " (١)

ومع كل ما ثار بين الفحول الامويين الثلاثة من هجاء فقد كانوا لسان حال الدولة الاموية يمدحون خلفاءها وولاتها وان مدحوا غيرهم للعطاء فهم الشعراء الرسميون ، ان صحت هذه العبارة ، أو شعراء البلاط الاموي وكان الهجاء المثار بينهم لخدمة العصبية التي كانت اثارتها في صالح الخلافة الاموية " .

---

(١) نفسه ، ص ٣٠٦١

وقال الاخطل يمدح عبد الملك بن مروان فى قصيدته التى مطلعها :

١ - خف القطين فراحوا منك أو بكروا — وأزعجتهم نوى فى صرفها غير

٢ - الى امرئ لا تعدينا نوافله — أظفره الله ، فليهنأ له الظفر

٣ - الخائض الغمر ، والميمون طائره — خليفة الله يستسقى به المطر

٤ - والهم بعد نجى النفس يبعثه — بالحزم ، والاصمعان القلب والحذر

٥ - والمستمر به أمر الجميع ، فما — يغتره ، بعد توكيد له ، غرر

٦ - وما الفرات اذا جاشت حواليه — فى حافتيه وفى أوساطه ، العشر

٧ - وذعذعته رياح الصيف واضطربت — فوق الجآجئ ، من آذيه ، غدر

٨ - مسحنفر من جبال الروم ، يستره — منها أكافيف فيها ، دونه ، زور

٩ - يوما ، بأجود منه ، حين تسأله — ولا بأجهر منه ، حين يجتهر

١٠ - فى نبعة من قريش ، يعصبون بها — ما ان توازى بأعلى نبتها الشجر

١١ - أعطاهم الله جدا ينصرون به — لا جد الا صغير ، بعد ، محتقر

١٢ - شمس العداوة ، حتى يستقاد لهم — وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

الشرح :

(١) خف : أسرع الى الرحيل . القطين : القوم القاطنون معا فى محلة أو ما اليها . راحوا : ذهبوا فى العشى . بكروا : نهضوا فى الغداء .
أزعج : أقلق عن المكان ودفع الى الرحيل . نوى : نية الفراق .
صرفها : دفعها . غير : مشاق .

(٢) تعدينا : تتخطانا وتفوتنا . نوافله : عطاياه .

(٣) الغمر : الماء الكثير ، وهنا الحرب الشديدة .

الميمون طائره : من اليمن والتيمن : اشارة الى ما كان الجاهليون يقومون به من زجر للطير ، فان اتجهت يمينا الى اليمين : تفاءلوا أو تيمنوا . واذا اتجهت شمالا الى الشمال ، تشاءموا .

(٤) نجي النفس : ما ناجى به نفسه ورغب في تحقيقه . الاصمعان : مثنى الاصمع : الذكر .

(٥) المستمر : المستمر به أمر الجميع : أى يقوى به أمرهم أو يسير على نظام واحد . واستمر الشئ : مضى على طريقة واحدة : واستمر بالشئ قوى على حمله . ومستمر نافذ ماض فينا أمره .
يغتره : يقال : اغتررته واستغررته : أتيته على غرة ، أى على غفلة
الغرور : الغرور . اغتر : غفل : واغتر بالشئ : خدع به .

(٦) جاشت : جاش البحر والقدر وغيرهما يجيش جيشا وجيوشا وجيشانا : غلى . وجاشت النفس : غثت أو دارت للغثيان . أو ارتفعت من حزن أو فزع .
حوالبه : حوالب البئر منابع مائها وكذلك حوالب العيون الفوارة .
العشر : كصرد ، شجر فيه حراق ولم يقتدح الناس أجود منه ، ويحشى في المخاد ، ويخرج من زهره وشعبه سكر

(٧) ذعذعته : ذعذعت الريح الشجر : حركته تحريكا شديدا .
الجؤجؤ : الصدر . الاذى : الموج
غدر : جمع غدير : والغدير هو الماء الذى غادره السيل

(٨) مسحنصر :
أكافيف :

الفـــــرزدق (ت ١١٤ هـ)

همام بن غالب بن صعصعة فرزدق لغلاظة وجهه وجهامته " أو لانه شبه وجهه بالخبزة ، وهى فرزدقة " (١) . والفرزدق غلب عليه ، وغثيره الرغيف الضخم الذى يجففه النساء للفتوت ، وقيل بل هو قطعة من العجين التى تبسط ، فيخبز منها الرغيف ، شبه وجهه بذلك لانه كان غليظا جهما " (٢) وكنيته أبو فراس ، ولد فى البصرة ونشأ بها فى باديتها ، وكان لهذا أثره فى أخلاقه . وكان ذا حسب ونسب مما جعله شديد الاعتداد بنفسه ، كثير الفخر بآبائه وأجداده ، وكان يذكر جريرا دائما بضعة أصله ، ويفتخر عليه بما كان لابائه من سيادة وشرف .

وكان الفرزدق شيعيا مجاهرا بحبه لآل على ، وقد مدح الامويين طلبا لنوالهم ، كما مدح ولاتهم ، ويبدو من سيرته أن المدح كان السبيل الى حصوله على المال ، وأن الهجاء كان سبيلا آخر ، اذا لم يكرمه الممدوح . وقد كان ذلك سببا فى سجنه ، ومن يدرس حياة الفرزدق يلاحظ أن معاصريه انما كانوا يخشون الهجاء ، ويتحاشونه حتى لا تلصق بهم الصفات القبيحة التى ينسبها الشاعر لهم . وأن هجاءه عرضه للموت أكثر من مرة .

وقد سجن كما يقال لانه مدح عليا بن الحسين . وكان هشام بن عبد الملك قد حج فى ذلك العام فرأى على بن الحسين فى غمار الناس

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٢٩٨

(٢) الاغانى ، ج ٢١ ، تحقيق عبد الكريم ابراهيم الغرباوى وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٧٦ .

فى الطواف ، فقال : من هذا الشاب ... أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحى وجوهها ... وا : هذا على بن الحسين ابن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم ، فقال الفرزدق :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

.. الخ القصيدة » (١) .

وقد تهاجى هو وجرير فيما يعرف بالنقائض ويقال ان هجاءهما ... أربعين سنة دون أن يغلب أحدهما صاحبه (٢) وأكد ديوانه فى المدح والفخر والهجاء .

وغزله ضعيف لا يسمو الى مستوى غزل جرير ، وقد خالف جريرا فى خلقه اذ كان جرير عفيفا فى حين كان الفرزدق يتهم بسوء الخلق ، وخاصة فيما يتصل بعلاقته المحرمة بالنساء . وتذكر كتب الادب أنه طرد من المدينة لما ذكره من أنه زار نساء ليلا ، ثم خرج بمساعدتهن بعد أن قضى منهن وطره . وذلك لشعر قاله : وهو :

همـا دلتانى من ثمانين قامة كما انقض ... الريش كاسره

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا أحى يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعا الامراس لا يشعروا بنا وأقبلت فى أعقاب ليل أبادره

أبادر بوابين لم يشعروا بنا وأحمر من ساج تلوح مسامره

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٨٩ " ولج الهجاء نحوا من أربعين سنة . لم يغلب واحد منهما على صاحبه ، ولم يتهاجى شاعران فى الجاهلية ولا الاسلام بمثل ما تهاجيا به " ،

فقال له مروان : أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخرج عن المدينة . فذلك قول جرير :

عدلت تزنى من ثمانين قامة ... وقصرت عن باع الندى والمكارم (١)

وقصته مع زوجته النوار مشهورة ، وقد حاولت الاستعانة على الطلاق من الفرزدق بعبد الله بن الزبير ، ولكنها لم تنجح فيما سعت اليه وقد اضطر لطلاقها في نهاية الامر ثم ندم على ذلك ندما شديدا .

وقصته مع من تزوجهن من النساء لا تخلو النوادر والطرائف أو هي مساقة لهذا الغرض ، فأكثر من زوجة له " تعركه " وترفض العيش معه ، وقصة مع النوار مشهورة .

ويقال انه هو وجرير توفيا في سنة واحدة هي سنة ١١٤ هجرية وأن الفرزدق كان هو الذي توفي أولا وقد رثاه جرير ، وغيره من الشعراء .

وقال الفرزدق يمدح عليا بن الحسين (*)

١ ـ هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرمُ

٢ ـ هذا ابن خير عباد الله كلهِمُ ... هذا التقىُّ النقىُّ الطاهر العَلَمُ

٣ ـ هذا ابن فاطمةٍ ان كنتَ جاهلَهُ ... بِجَدِّهِ أنبياءُ اللّه قد ختموا

٤ ـ وليس قولُكَ من هذا بِضائِرِهِ ... العُرْبُ تعرف من أنكرتَ والعَجَمُ

٥ ـ إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهى الكَرَمُ

٦ ـ يُغْضِى حَيَاءً ويُغْضَى من مهابته ... فما يُكَلَّمُ إلاّ حين يبتسِمُ

---

(١) الاغاني ، ج ٢١ ، مرجع سابق ، ص ٣٢٢ وانظر ايضا طبقات فحول الشعراء ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٧٢

(*) انظر كتاب الاغاني ، ج ٢١ ، مصدر سابق ، ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ويقال ان القصيدة ليست للفرزدق .

٧ - بكفه خيزران ريحها عبقُ ... من كفِّ أروعَ في عرنينه شممُ

٨ - يكاد يمسكه عرفانَ راحتِه ... رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ

٩ - اللهُ شرّفه قِدماً وعظّمه ... جرى بذاك له في لوحه القلمُ

١٠ - أيُّ الخلائق ليست في رقابهمُ ... لأوليّةِ هذا أو لَهُ نِعَمُ

١١ - من يشكرِ اللهَ يشكرْ أوليّةَ ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأممُ

١٢ - ينمي إلى ذروة الدين التي قصرت ... عنها الأكفُّ وعن إدراكها القدمُ

١٣ - مَنْ جدُّه دانَ فضلُ الأنبياءِ له ... وفضلُ أمّتِه دانت له الأممُ

١٤ - مشتقّةٌ من رسول الله نبعتُه ... طابت مغارسُه والخِيمُ والشِّيَمُ

١٥ - ينشقُّ ثوبُ الدجى عن نور غُرّتِه ... كالشمسِ تنجابُ عن إشراقها الظُّلَمُ

١٦ - من معشرٍ حبُّهم دينٌ، وبغضُهم ... كفرٌ وقربُهم مَنجىً ومعتصمُ

١٧ - مقدَّمٌ بعد ذكر الله ذكرُهمُ ... في كلِّ بدءٍ ومختومٌ به الكلمُ

١٨ - إنْ عُدَّ أهلُ التقى كانوا أئمتَهم ... أو قيل من خيرُ أهلِ الأرضِ قيل: هُمُ

١٩ - لا يستطيع جوادٌ بُعدَ جودِهمُ ... ولا يدانيهمُ قومٌ وإن كرُموا

٢٠ - يُستدفعُ الشرُّ والبلوى بحبِّهمُ ... ويُستربُّ به الإحسانُ والنِّعَمُ

الشرح:

١ - البطحاء: مسيل واسع فيه دقاق الحصى

وطأته: الوطأة موضع القدم

الحل والحرم: الحل ما جاوز الحرم، والحرم المنطقة التي تحيط بالحرم والحرم نفسه ولها مساحة محدودة معروفة.

الأروع: من يعجبك حسنه وجهارة منظره، أو بشجاعته.

الحطيم: حجر الكعبة أو جداره، أو ما بين الركن زمزم والمقام

يستلم: واستلم الحجر لمسه إما بالقبلة أو باليد

دان : أطاع ودانت له الامم : ذلت وخضعت.

نبعته : النبعة : والنبع : شجر للقسي وللسهام ينبت في قلة الجبل

الخيم : السجية والطبيعة بلا واحد

والشيم : الشيمة : الطبيعة

انجاب : ينشق : انجاب الظلام عنه انشق

كنه جودهم : الكنه جوهر الشيء ، وقدره ، وغايته

يسترب : رب جمع وزاد ، يسترب : يستزاد

وقال الفرزدق يمدح عبد الملك بن مروان :

١ - يا أيها الراكب المزجي مطيته   يريد مجمع حاجات الاراكيب

٢ - اذا أتيت أمير المؤمنين فقل   بالنصح والعلم ، قولا غير مكذوب

٣ - أما العراق فقد أعطتك طاعتها   وعاد يعمر منها كل تخريب

٤ - أرض رميت اليها ، وهي فاسدة   بصارم من سيوف الله مشبوب

٥ - لا يغمد السيف الا ما يجرده   على قفا مجرم بالسوق مصلوب

٦ - مجاهد لعداة الله ، محتسب   جهادهم بضراب غير تذبيب

٧ - اذا الحروب بدت أنيابها خرجت   ساقا شهاب ، على الاعداء مصبوب

٨ - فالارض لله ولاها خليفته   وصاحب الله فيها غير مغلوب

٩ - فأصبح اللـى ولى الامر خيرهم   بعد اختلاف وصدع غير مشعوب

١٠ - تراث عثمان كانوا الاولياء له   سربال ملك عليهم غير مسلوب

١١ - قوم أبوهم أبو العاصي أجاد بهم   قرم نجيب لحراب مناجيب

١٢ - قوم أتيوا على الاحسان اذ ملكوا   ومن يد الله يرجى كل تثويب

الشرح :

(١) المزجي مطيته : الذى يسوق المطية التى يركبها

مجمع : موضع الجمع

الاراكيب   المسافرون على مايركبونه (قاصد بين الخليفة)

مشبوب   مشتعل

(٦) محتسب . احتسب بكذا أجرا عند الله : اعتده ينوى به وجه الله

عز [illegible] لـ[illegible] أ. الا[illegible]د .

(٧) ساقا شهاب : ساقطا نجم من الشهب .

(٩) صدع : الصدع : الشق أو الكسر . والمقصود الفرقة بين المسلمين
غير شعوب : لا يصلح

(١٠) تراث عثمان : ميراثه . وعثمان : هو عثمان بن عفان رضي الله عنه
الخليفة الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأمويون هم ورثة
عثمان — كما يزعم — تولوا الملك بعده ، ولبسوه كما يلبس السربال .
السربال : القميص أو الدرع أو كل ما لبس .

(١١) رجل حرب ومحرب ومحراب : شديد الحرب شجاع
مناجيب : رجل منجب وامرأة منجاب ومنجبة : ولدا النجباء ،
والنجيب : الكريم الحسيب .

(١٢) التثويب : الثواب ، كسب الثواب من الله .

وقال مصورا ندمه على طلاق زوجته النوار :

طلبت النوار الطلاق منه ، فوافق متعجلا ثم ندم على ذلك فقال هذه الابيات :

١ ـ ندمت ندامة الكسعي لما	غدت مني مطلقة نوار
٢ ـ وكانت جنتي فخرجت منها	كآدم حين لج به الضرار
٣ ـ وكنت كفاقيء عينيه عمدا	فأصبح ما يضيء له النهار
٤ ـ ولا يوفي بحب نوار عندي	ولا كلفي بها الا انتحار
٥ ـ ولو رضيت يداي بها وقرت	لكان لها على القدر الخيار
٦ ـ وما فارقتها شبعا ، ولكن	رأيت الدهر يأخذ ما يعار (١)

الشرح :

١ ـ الكسعي : شخص ضرب به المثل في الندم على ما فعل

ندمت على أنني طلقت زوجتي " النوار " كما ندم الكسعي على مافعله

٢ ـ لج : ألح .. والضرار : المخالفة والعصيان

يقول كانت " نوار " جنتي ، وهذا تشبيه جميل يقصد به مدى تعلقه بها وحبه لها . فطردت أو خرجت منها كآدم حين خالف أمر ربه ، فأخرج من الجنة .

٣ ـ اني وتطليقي النوار ، كشخص فقأ عينيه عامدا متعمدا ، فأصبح نهاره مظلما لا يضيء ، أي صار أعمى ، فكأن النوار كانت عينيه ففقأهما بيده .

---

(١) انظر الابيات مع بعض الاختلاف . طبقات فحول الشعراء ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، وانظر ايضا الاغاني ، ج ٢١ ، مرجع سابق ص ٢٩٠ .

٤ ـ يوفي : يعدل .. كلف به : أولع به . الكلف : الرجل العاشق ولا يعدل حب " نوار " ولا ولعي بها ، وعشقي اياها الا الانتحار . أي قتل المرأ لنفسه .

٥ ـ قترت : ثبتت وسكنت
الخيار : الاختيار
ولو انني رضيت بها زوجا ولم أطلقها لكنت في تلك الحالة قد اخترت على القدر أي لاستطاعت نفسي أن تختار وأن ينزل القدر على ارادتها .

٦ ـ وما فارقت " النوار " شبعا ، ولكن رأيت الدهر يأخذ ما يعار الى الناس من نعم وغيرها .

الراعي النميري

" وراعي الابل ، واسمه عبيد بن حصين بن جندل بن قطن ابن ظويلم بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير ، سمي راعي الابل ، لكثرة صفته للابل ، وحسن نعته لها . فقالوا ما هذا الا راعي الابل فلزمته ".(١) وكان سيدا شريفا في قومه ولكنه فضل الفرزدق على جرير فأغضب جريرا (٢) ، ويذكر الاغاني قصته مع جرير باسهاب وملخصها جريرا حاول أن يمنع الراعي من تفضيل الفرزدق عليه ، فبينما هو يحادثه اذ قدم ابنه جندل ، فسب جريرا ، وضرب بغلة أبيه بسوط فرمحت جريرا فأسقطت قلنسوته . وتوقع جرير أن يعود الراعي ، فيعتذر عما بدر من ابنه ، ولكن الراعي لم يفعل ، مما اضطر جريرا الى قضاء ليلته محاولا أن ينظم في هجاء الراعي قصيدة تكفه عن تفضيل الفرزدق عليه وقد نظمها في ثمانين بيتا وقد ختمها بقوله .

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كبر وقال : أخزيته ورب الكعبة . ثم هجاه بالقصيدة التي كان لها وقع شديد على نفوس بني نمير (٣) وقرن بن سلام بين الراعي ، وبين الامويين الثلاثة الفحول جرير ، والفرزدق ، والاخطل ، ويقول :".. ومن خالف في الراعي قليل ، وكأنه آخرهم عند العامة ".(٤) وقد دافع الراعي عن قبيلته شاكيا الى الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان عامل الصدقات ، لما أنزله من ظلم بقبيلته : وهي قصيدة تكشف عن ادراك الشاعر

---

(١) طبقات فحول الشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩

(٢) الشعر والشعراء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٥

(٣) الاغاني ج ٨ ، مرجع سابق ص ٢٧٧٥ ـ ٢٧٧٨

(٤) طبقات فحول الشعراء ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٩٩

للوضع الجديد الذي يعيشه الناس في ظل الخلافة ، كما يكشف عن ثقافته الدينية ، ووعيه بالحقوق التي كفلها الاسلام للمسلم • وكذلك وعيه بواجبات الحاكم من اقامة العدل ، وكف الظلم •

الراعي النميري يشكو عامل الصدقات

١ ـ أَبْلِغْ أَمِيرَ المؤمنين رِسالةً	تشكو إليك مَضَلَّةً وعَوِيلا
٢ ـ أخليفة الرحمن انا معشرٌ	حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكرةً وأَصِيلا
٣ ـ عَرَبٌ نرى اللَّهِ في أموالنا	حقّ الزكاةِ منزّلاً تنزيلا
٤ ـ إن السعاة عصوك يوم أمرتهم	وأتوا دواهي لو علمت وغُولا
٥ ـ أخذوا العريفَ فقطّعوا حيزومه	بالأصبحيّة قائماً مَغْلُولا
٦ ـ حتى إذا لم يتركوا لعظامه	لحماً ، ولا لفؤاده معقولا

الشرح :

(١) مضلة : أرض مضلة ، ومضلة : يضل فيها الناس • وعويل : بكاء •

(٢) الحنفاء : جمع حنيف ، والحنيف : الصحيح الميل الى الاسلام • والحنف الاستقامة •

(٤) غولا : الغول الهلكة والداهية ، والمنية

السعاة : جباة الزكاة •

(٥) العريف : شيخ القبيلة • الحيزوم : الوسط ، أو الصدر أو وسطه

مغلولا : مقيدا • الاصبحية السياط

(٦) يصور شدة الضرب والتعذيب الواقع على شيخ القبيلة ، وكيف انه مزق لحمه ، بل ذهب به جملة ، وتركه عظاما عارية ، كما يصور مدى الفزع الذي أصاب عقله حتى ذهب ذلك العقل

أي أنه أصيب بالجنون لشدة العذاب •

٧ ـ جاءوا بصكهم وأحدب أسارت	منه السياط يراعةً إجفيلا
٨ ـ أخذوا حمولته وأصبح قاعداً	لا يستطيع عن الديار حويلا
٩ ـ يدعو أمير المؤمنين ودونه	خرقٌ تجرُّ به الرياحُ ذُيولا
١٠ ـ كهُداهِدٍ كسَرَ الرُّماةُ جناحه	يدعو بقارعة الطريق هديلا
١١ ـ أخليفة الرحمن انّ عشيرتي	أمسى سوامهم عزين فلولا
١٢ ـ قوم على الإسلام لما يمنعوا	ماعونهم ، ويضيّعوا التهليلا
١٣ ـ قطعوا اليمامة يطردون كأنهم	قوم أصابوا ظالمين قتيلا
١٤ ـ يحدون حدبا مائلا أشرافها	في كل مقربة يدعن رعيلا

الشرح :

(٧) صكهم : الصك : الصحيفة الخاصة بالصدقات

اليراعة : الجبان ، الاحدب : البارز الظهر الداخل البطن ، والاجفيل : الجبان ،

(٨) أخذوا حمولته : الحمولة : ما يحمل عليه من الدواب ، حويلا : تحولا

(٩) الخرق : الفلاة أو الصحراء ،

تجرية الرياح ذيولا : كناية عند شدة عصف الرياح بها ،

(١٠) هداهد : الحمام الكثير الهدهدة ، وهدهد الطاهر : قرقر

هديلا : صوت الحمام ،

(١١) عشيرتي : قومي : سوامهم : الابل ترعى ، عزين : متفرقة من قلتها وهزالها

(١٢) على الاسلام : أي هم مسلمون ، ماعونهم : يقصد الزكاة ، التهليل : قول لا اله الا الله ،

(١٣) يطردون : الطرد : الابعاد ، والطرد : ضم الابل من نواحيها

(١٤) حدب / يقصد الابل ، الاشراف الاسنمة

الرعيل : القطعة من الخيل القليلة العدد ، أو قدر العشرين أو الخمسة والعشرين وقد تكون من البقر ،

١٥ ـ شهرى ربيع ما تذوق لبونهم ... الا حموضا وخمة ودبيلا

١٦ ـ وأتاهم يحيى فشد عليهم ... عقدا يراه المسلمون ثقيلا

١٧ ـ كتبا تركن غنيهم ذا عيلة ... بعد الغنى وفقيرهم مهزولا

١٨ ـ إن الذين أمرتهم أن يعدلوا ... لم يفعلوا مما أمرت فتيلا

١٩ ـ أنت الخليفة عدله ونواله ... واذا أردت لظالم تنكيلا

٢٠ ـ فاد فع مظالم عيلت أبناءنا ... عنا وأنقذ شلونا المأكولا

٢١ ـ فنرى عطية ذاك إن أعطيته ... من ربنا فضلا ومنك جزيلا

الشرح :

(١٥) الحمض : ما ملح وأمر من النبات • وحمضت الابل حمضا وحموضا : أكلته الحموض الوخمة : والوخيمة ، ووخمة : لا تنجع كلأها • وطعام وخيم لغير موافق •

ابن اللبون : ابن الناقة ذات اللبن غزيرا كان أو قليلا •

وابن اللبون : ولد الناقة اذا كان فى العام الثانى واستكمله أو اذا دخل فى العام الثالث • والانثى : ابنة لبون •

(١٦) العقد : ما كتب عليهم من الصدقات

(١٧) الكتب : ما يكتب فيه ، والصحيفة ، والمقصود الصحف المدون فيها ما قدر عليهم من الصدقات • العيلة . الفقر •

(١٨) فتيلا . ما يكون فى شق النواة

(١٩) النوال : العطاء • التنكيل نكل به تنكيلا : صنع به صنيعا يحذر غيره •

(٢٠) عيلت : من التعييل : وهو سوء الغذاء

وشلونا عضونا

(٢١) الفضل : • الجزيل الكثير من الشئ

وفي رأينا أن الفصل بين غزل العذريين وأصحاب الغزل الحضري وبين ما يسميه الباحث بالغزل التقليدي ليس فصلا دقيقا ، لأن لدى جرير مثلا غزلا لا يقل في بعده عن الشهوات والحس عن غزل العذريين ، يقول مثلا :

ألا أيها الوادي الذي ضَمّ سيله … إلينا نوى ظمياء حييت واديا

إذا ما أراد الحيُّ أن يتفرقوا … وحنّت جمالُ الحيِّ حنَّتْ جماليا

فيا ليت أنّ الحيَّ لم يتزيّلوا … وأمسى جميعًا جيرةً متدانيا

إذ الحيُّ في دار الجميع كأنما … يكون علينا نصف حولٍ لياليا

إلى الله أشكو أن بالغور حاجةً … وأخرى إذا أبصرتُ نجدًا بدا ليا

نظرتُ برهبى والظعائن باللوى … فطارتْ برهبى شعبةٌ من فؤاديا

وما أبصر النار التي وضحت لنا … وراء جفاف الطير إلا تماريا

إذا ذكرتْ ليلى أتيحَ ليَ الهوى … على ما ترى من هجرتي واجتنابيا

خليليَّ لولا أن تظنا بي الهوى … لقلتُ سمعنا من عقيلة داعيا

قفا فاسمعا صوت المنادي لعلّه … قريبٌ وما ناديت بالود دانيا

ولو أنها شاءت شفتني بهيّنٍ … وإن كان قد أعيا الطبيب المداويا

فإنك إن تعطي قليلا فطالما … منعتَ وحلّأتَ القلوب الصواديا

دُنُوَّ عناق الطير أسمحْنَ بعد ما … شمسْنَ ووليهن الخدود العواصيا

إذا اكتحلت عيني بعينك مسّني … بخيرٍ وجلّى غمرةً من فؤاديا

ويأمرني العذال أن أغلب الهوى … وأن أكتم الوجد الذي ليس خافيا

فيا حسرات القلب في إثر من يُرى … قريبا وتلقى خيرُه منك نائيا

يعيّرني الإخلافَ ليلى وأفشلت … على وصلِ ليلى قوّةٌ من حباليا

تخطى الينا من بعيد خيالها ... يخوض خداريا من الليل داجيا

فحييت من سار تكلف موهنا ... مزاراً على ذي حاجة متراخيا (١)

فهذا الغزل لا يختلف عن الغزل العذري في منحاه ، وفيه يرد فيه من التعبير عن العواطف والمشاعر ، ويلاحظ في هذه القصيدة أن الشاعر لا يتعرض لوصف جسد المرأة اطلاقا من قبل الشاعر العاشق مع أنه يرد في مقدمة القصيدة وهناك شعراء آخرون يقولون غزلا كالعذري مثلا يقول المتوكل الليثي غزلا لا يختلف عن غزل العذريين فيما يكشف عنه من صدق المشاعر ، والاحساسيس النبيلة مما يؤيد رأينا في أن الغزل لا يمكن أن يصنف في حدود العذرية والحضرية على القسمة المألوفة . فهذا الشاعر قد طلق امرأته ولكنه يقول فيها غزلا يصور عواطفه الصادقة نحوها ، متخذا ما الطير كالعذريين الذين يهيد و خلافهم معه راجعا الى اختلاف أسلوب الشعراء لا الى اختلاف طبيعة الغزل ، يقول :

طربت وشاقني يا أم بكر ... دعاء حمامة تدعو حماما

فبت وبات همي لي نجيا ... أعزي عنك قلبا مستهاما

إذا ذكرت لقلبك أم بكر ... سبيت كأنما اغتبق المداما

خدلجة ترف غروب فيها ... وتكسو المتن ذا خصل سخاما

أبى قلبي فما يهوى سواها ... وان كانت مودتها غراما

ينام الليل كل خلي هم ... وتأبى العين مني أن تناما

أرعى التاليات من الثريا ... بدمع العين منحدر سجاما

على حين ارعويت وكان رأسي ... كأن على مفارقه ثغاما

---

(١) القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ١٩٦٦ ، ص ٢٩ ، ٣٠

ويورد أبو الفرج خبرا آخر ينكر وجود مجنون بني عامر ، ويرى أن الشعر متحول عليه ، يقول : " المجنون اسم مستعار لا حقيقة له ، وليس له في بني عامر أصل ولا نسب ٠ " ٠٠٠ " وقال الجاحظ : ماترك الناس شعرا مجهول القائل قيل في ليلى الا نسبوه الى المجنون ، ولا شعرا هذه سبيله قيل في لبنى الا نسبوه الى قيس بن ذريح ٠ " (١) وهذا يدل على أن شعر المجنون قد اختلط بشعر غيره أو أصابه التحريف ، [illegible] هذا لا يلغي وجوده ، وقد فطن أبو الفرج الى أن شعر العذريين فيه بعض الخلط ، فنجد شعرا معينا ينسب لشاعر أو أكثر ، ويبرئ ساحته مما قد ينقله من هذا الخلط نقلا عن الرواة ٠ فيقول : " وأنا [illegible] ما وقع الي من أخباره جملا مستحسنة ، متبرئا من العهدة فيها ، فان أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسبها بعض الرواة الى غيره ، وينسبها من حكيت عنه اليه ، واذ قدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعن ومتتبع للعيوب " (٢) .

وينطلق الدكتور طه حسين من أفكار أبي الفرج التي تذكر أن مجنون ليلى لا وجود له في الواقع ، وأنه شخص مخترع حمل عليه بعض الاوين أشعاره حتى يخفى أمره ٠ يقول الدكتور طه حسين : " لست أشك في أن عمر بن أبي ربيعة شخص تاريخي ، وفي أن [illegible] الشعر المنسوب اليه صحيح صدر عنه حقا ، وأن شخصيته كانت في عصره كما نتمثلها نحن الان ، أو على نحو ما نتمثلها نحن الان ، وكذلك قل في " كثير " ، وكذلك قل في " عبيد الله بن قيس الرقيات " ، ولكني أشك الشك كله في أن يكون قيس بن الملوح شخصا تاريخيا وجد وعرفه الناس واستمعوا اليه ، وفي أن

---

(١) الاغاني ، ج ٢ المصدر السابق ، ص ٤٢٦

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٢٩

يكون هذا الشعر المنسوب اليه صحيحا قد صدر عنه حقا ، وأزعم أن قيس ابن الملوح خاصة انما هو شخص من هؤلاء الاشخاص الخياليين الذين يخترعهم الشعوب لتمثيل فكرة خاصة ، أو نحو خاص من أنحاء الحياة . "(١)

ولا يتجاوز الدكتور طه حسين ما ذكره أبو الفرج في مطلع حديثه عن مجنون بني عامر الذي أوردناه آنفا ، ويذكر أبو الفرج - أيضا - خبرا عمن يقول : " .. سألت بني عامر بطنا بطنا عن مجنون بني عامر فما وجدت أحدا يعرفه . "(٢) وهذا الخبر ينفي وجود الشاعر ، وينقل خبرا آخر عن أحد بني عامر الذين ينتسب اليهم الشاعر يقول فيه :

" قلت لرجل من بني عامر : أتعرف المجنون وتروي من شعره شيئا ؟ قال أوقد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروي أشعار المجانين ، انهم لكثير ، فقلت : ليس هؤلاء أعني ، أنما أعني مجنون بني عامر الذي قتله العشق ، فقال : هيهات ، بنو عامر أغلظ أكبادا من ذاك ، انما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصعلة رؤوسها ، فأما نزار فلا "(٣) ويقول أبو الفرج أيضا : " حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية ، كان يهوى ابنة عم له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون ، وقال الاشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها اليه . "(٤) وهذه الاخبار كلها تجعل موقف أبي الفرج صحيحا ، ولا يحتاج من يصحح له ذلك الموقف .

وتصور أشعار المجنون الصادقة الاحاسيس التي يوردها صاحب الاغاني حبه لليلى وبعده عن كل رغبة جسدية ، أو مادية بوجه عام ، كقوله :

---

(١) طه حسين ، حديث الاربعاء ، ج١ ، طبعة ١٢ ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٦ ص ١٧٥

(٢) الاغاني ج ٨ ، مرجع سابق ص ٤٢

(٣) مرجع نفسه ص ٤٢٠ ، ٤٢١ (٤) نفسه ، ص ٤٢٢

فو اللـه ، ثـم اللهِ إنـي لدائـب ... أفكّر ما ذنبي إليهـا وأعجـب
ووالله ما أدري عـلامَ قتلتـني ... وأيَّ أمـوري فيـك يا بثـلَ أركـبُ
أأقطـع حبل الوصل فالموتُ دونـه ... أم اشـرَبُ رَنْقًا منكمُ ليس يُشـرَبُ
أم اهـرُبُ حتى لا أرى لي مجـاورا ... أم أصنع ماذا ؟ أم أبوحُ فأُغْلَـبُ ؟
فأيهمـا يا بثـلَ ما ترتضينـه ... فإنـي لمظلـومٌ وإنـي لَمُعْتَـبُ (١)

ومما يصـور آلامـه وأشواقـه ومعاناتـه قولـه :

وأحبِسُ عنـك النَّفْسَ والنفْسُ صبَّـةٌ ... بذكـراكِ والممشـى إليـك قريـب
مخافـة أن تسعـى الوشـاةُ بظنَّـةٍ ... وأحرسكـم أن يستريـب مريـبُ
فقـد جعلـت نفسـي منـه وأنت اجترمته ... وكنتِ أعزَّ الناسِ - عنك تطيـبُ
فلو شئـتِ لم أغضـبْ عليـك ولم يـزل ... لـك الدهـرَ مـني ما حييتُ نصيبُ
أما والـذي يبلـو السرائـر كلهـا ... ويعلـم ما تبـدي بـه وتغيـبُ
لقد كنـت ممن تصطفـي النفسُ خلـةً ... لهـا دون خُلّان الصفـاءِ حجوبُ (٢)

ومن أشعـار جميـل الـتي تدل علـى هـذا اللـون من الحـب الصادق ، البعيد عـن الغـرض والهـوى قولـه مصـورا حبـه لبثينـة :

صادت فؤادي يا بثيـن حبالكـم ... يـوم الحجـون وأخطأتـك حبائلـي
منيـتني فلويـت ما منيتـني ... وجعلـت عاجِلَ ما وعـدتِ كآجـل
وتثاقلـت لمـا رأت كلفـي بهـا ... أحبب إلـيّ بـذاك من متثاقـل
وأطعتِ فيَّ عـوازلا فهجرتـني ... وعصيـت فيك وان جَهِدن عواذلـي

---

(١) المرجـع نفسـه ، ص ٤٣٨

(٢) المرجـع نفسـه ، ص ٤٧٥

حاولتني لابُثَّ جملَ وصالكم ... منّي ، ولستُ ولنْ جَهدتَه بفاعل

فرددتهن وقد سَعَيْنَ بهجركم ... لما سعين له بأفوق ناصل

يعضضن من غيظٍ عليّ أناملا ... ووددتُ يعضضن صُمَّ جنادل

ويقلن إنك يابثين بخيلة ... نفسي فِدا الكِ من ضنينٍ باخلِ (١)

وقد كان هذا الغزل العفيف أو العذرى موضع اعجاب الباحثين ، لما تضمنه من قيم انسانية نبيلة ، ومن تعلق بامرأة لا يبغى بها العاشق بدلا ، فحاولوا الكشف عن أسبابه ، وقد سبق أن ذكرنا التغير الاجتماعى بعد الاسلام ، وقد ذكر الباحثون ذلك وغيره . فيرد أستاذنا الدكتور شوقى ضيف تلك الظاهرة الغزلية العامة التى تتجاوز قبيلة عذرة التى ينسب اليها ذلك الغزل الى غيرها ، يرد ذلك الغزل الى الاسلام " الذى طهر النفوس وبرأها من كل اثم " ، كما رده الى بداوة أصحابه وما يعصمهم من اللهو والعبث . (٢)

ويرد الدكتور شكرى فيصل الغزل العذرى الى حسن اسلام أصحابه وتقواهم وبتعبيهن فى ذلك ببعض من آى القرآن الكريم ، أما الغزل الحضرى فهو غزل قوم يمثلون طبقة متحررة تضع شهواتها وملاذها فوق كل شىء فى حين نسيت نصيبها من الاخرة مقدمة عليه نصيبها من الدنيا (٣) ويفصل الدكتور شكرى فيصل بين هذين النوعين من الغزل وبين ما يسميه الغزل التقليدى الذى كان يدور فى قصائد جرير والفرزدق والاخطل (٤)

---

(١) الاغانى ، ج ٨ ، مصدر سابق ، ص ٢٨٤٧

(٢) العصر الاسلامى ، مرجع سابق ، ص ٣٥٩

(٣) الدكتور شكرى فيصل ، تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، طبعة ٦ ، ١٩٨٣ ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٨٩

الغزل
فى العصر الأموى

الغزل في عصر بني أمية

كان للتغيير الحضاري الذي أحدثه الاسلام في المجتمع العربي ، أثره على الشعر بوجه عام . وقد أصاب هذا الاثر شعر الغزل ، حقا ظلت كثير من القيم الجمالية القديمة قائمة وذلك فيما يتصل بالجمال الجسدي للمرأة ، لكن تلك القيم اتصلت بقيم أخرى جديدة جاء بها الاسلام ، وتغير المجتمع ، فرأينا في ذلك العصر ضربين من الشعر يعرف الاول منهما بالغزل العذري ، والثاني بالغزل الحضري . والغزل العذري يعرف شعراؤه بالعفة والتعلق بمحبوبة واحدة تعلقا غريبا ، حتى ليصبح الحب وكأنه غاية في ذاته ، والمرأة فيه توصف بالعفة والطهر ، والبعد عن الريبة ، ولا يطلب الشاعر في هذا الحب الجسد ولا يسعى اليه . وحسبه أن يلتقي بمحبوبته ، وأن يبثها شكواه ولواعجه ، وأن يستمع الى بثها وشكواها وقد ذكر في هذا المجال عدد من الشعراء مثل مجنون بني عامر ، وجميل بثينة وكثير عزة .

ويبدو أن بعض أشعار هؤلاء الشعراء كانت موضوعة اذ ينقل صاحب الاغاني مثلا أن المجانين في بني عامر كثيرون : " حدثنا الاصمعي قال : سألت أعرابيا من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري فقال : عن أيهم تسألني ؟ فقد كان فينا جماعة رموا بالجنون ، فعن أيهم تسأل ؟ فقلت : عن الذي كان يشبب بليلى ، قلت : فأنشدني لبعضهم فأنشدني لمزاحم بن الحارث المجنون :

ألا أيها القلب الذي لجّ هائما   بليلى وليداً لم تُقطَّع تمائمه

أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى   لك اليوم أن تلقى طبيبا تلائمه

أجدّك لا تنسيك ليلى مُلِمَّةٌ   تُلِمُّ ولا عهدا بطول تقادمه (١)

---

(١) الاغاني جـ ٢ ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٤٢٤

سعى الواشون حتى أزعجوها ... ورثّ الحبل فانجذم انجذاما

فلست بزائل ما دمت حيًّا ... بُسُرًّا من تذكركما هياما

نُرجّيها وقد شحطت نواها ... ومنّتك المنى عاما فعاما

خدلّجةٌ لها كفلٌ وثير ... ينوء بها اذا قامت قياما

مُخصّرةٌ ترى في الكشح منها ... على تقبيل اسفلها انهضاما

إذا ابتسمت تلألأ ضوء برق ... تهلل في الدُّجُنّةِ ثم داما

وإن قامت تأمّل راءياها ... غمامة صيّفٍ ولجت غماما

إذا تمشي تقول دبيب أيْمٍ ... تعرّج ساعة ثم استقاما

وإن جلَسَتْ فدمية بيت عيد ... تصان ولا ترى الا لماما

فلو أشكو الذي أشكو اليها ... الى حجر لراجعني الكلاما

أحب دنوّها وتحب نأيي ... وتعتام التنابي لي اعتياما

كأني من تذكر أم بكر ... جريحُ أسنّةٍ يشكو كِلامَا

تساقطُ أنفسًا نفسي عليها ... اذا سخطت وتغتنم اغتناما

غشيتُ لها منازل مقفرات ... عفَتْ إلا الأياصِيَر والثُّمامَا

ونؤيها قد تهدّم جانباه ... ومبناها بذي سلم خياما

صليني واعلمي أني كريم ... وأنّ حلاوتي خلطت عُرَامَا

واني ذو مجامحة صليبٌ ... خلقت لمن يما سكني لجاما

فلا وأبيك لا أنساكِ حتى ... تجاوب هامتي في القبر هاما (١)

---

(١) الاغاني ج ١٢ ، مصور عن دار الكتب ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٤٣٢٧ - ٤٣٢٨ ، وانظر قصيدة أخرى له المرجع نفسه ، ص ٤٣٢٨ - ٤٣٢٩ .

وانما هدفنا هنا ألا نصنف الغزل على أنه ثلاثة أنواع ، غزل عذرى وغزل حضرى ، وغزل مقدمات قصائد ، فقد تتحول القصيدة في المقدمة الى غزل لا يختلف عن الغزل العذرى ، كما قد يقول الشاعر الحضرى الذى يفترض فيه أنه شاعر مادى ، غزلا كالغزل العذرى كما فعل عمر بن أبى ربيعة [١] وقد جاء تقسيم الغزل الى أقسامه الثلاثة المذكورة عند الدكتور طه حسين [٢] ثم سار الدكتور شكرى فيصل على نفس المنهج [٣].

وهذا لا يعنى أنه لم يكن هناك اختلاف بين هذه الاتجاهات الثلاثة ، فلابد أن يوجد الاختلاف بحكم اختلاف طبيعة الشعراء في الموهبة والمقدرة ، والاسلوب ، ولكننا - نرى - أنه لا توجد فواصل حقيقية بين هذه الانواع الثلاثة من الغزل .

ونعرض في خلال هذا الموضوع لموقف الدكتور طه حسين من حقيقة وجود شعراء الغزل العذرى ، فالدكتور طه حسين يرى أن شعراء الغزل انما اخترعوا اختراعا من أجل أن يحققوا وجود الفن القصصى المتصل بتسلية الجماعة . ويقارنه بالفن القصصى الحديث . فيقول : " وأنا أريد أن أفهم مكان قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح ، وجميل بن معمر ، وعروة بن حزام أشياء لا أشخاصا ، أو بعبارة أدق ، أريد أن أفهم مكانهم شيئا واحدا هو فن القصص الغرامى الذى اعتقد أنه ظهر ، أو على أقل تقدير ، قوى وعظم أمره أيام بنى أمية ، وأخذ ينظم شيئا فشيئا حتى كاد يكون فنا مستقلا على نحو ما نرى من فنون القصص الغرامى

---

(١) انظر د. عبد القادر القط في الشعر الاسلامى والاموى ، مرجع سابق ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢

(٢) حديث الاربعاء ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١٨٧

(٣) تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٨١

في الادب الحديث . فليس يعنيني أن يكون شخص قيس بن الملوح تاريخيا أو غير تاريخي ، وانما الذي يعنيني أن هناك قصة غرامية ، هي قصة قيس بن الملوح ، وقصة غرامية أخرى هي قصة جميل بن معمر ."(١).

واذا كان العقل يقبل أن يختلف الناس في اسم شاعر أو وجوده فانه يقف طويلا امام أن تكون جماعة من الشعراء لتنظيم أشعارا أصيلة ذا جودة فنية عالية ، وتنسبها الى غيرها لتتمكن من اقامة قصة غرامية (٢) ولنا أن نتساءل لماذا لم تأت هذه القصة في صورة نثرية ؟ وما الحكمة كونها تتكون من الشعر والنثر ؟ ولما كانت تلك الاسئلة يمكن أن يجاب عليها بالقول بأن هؤلاء الشعراء وجدوا ، ونظموا أشعارا بالفعل الخيال الشعبي استطاع أن ينسج حولهم هذا القصص لتفسير ذلك الشعر فهو يرى أنه قد وجدت قصة عاطفية تعتمد على الشعر والنثر ، قام بها الرواة والقصاص لا الشعراء الغزليون ويرى أن الهدف من انشاء تلك القصص كان تفسير شعر الشاعر وبخاصة وأن أخبارهم يغلب عن طريق الرواية الشفوية ، ولعل هذا ما دفع الدكتور شوقي ضيف الى اعتبار هذه الاشعار ضربا من الادب الشعبي . يقول : " .. ولعل هذا ما يلفتنا الى أن هذا الغزل العذري العفيف الذي شاع حينذاك انما كان ضربا من الادب الشعبي المبكر في اللغة العربية ، فأصحابه مجهولون ، وقد صحبته أقاصيص كثيرة فلم يكن شعرا خالصا ."(٤).

ويرى الاستاذ العقاد أنه كان لشعراء الغزل العذري وجود حقيقي وأنهم وجدوا كثرة طبيعية لبيئتهم وعصرهم : " فهم جميعا ثمرة عهد

---

(١) حديث الاربعاء ، ج١ ، ص١٩٢

(٢) المرجع نفسه ، ص٢١٩

(٣) نجيب محمد البهبيتي ، تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ١٩٨٢ ، ص١٦٦ ، ١٦٧

(٤) التطور والتجديد ، مرجع سابق ص١٠٨

لابد أن يثمرهم ، وانما وجه الغرابة أن تهيأ أسباب ظهورهم ولا يظهروا وليس وجه الغرابة أنهم ظهروا في تلك البيئة وذلك الزمان .

وقد تهيأت تلك الاسباب كل التهيؤ كما لخصناها في بعض فصول هذا الكتاب ، فهم اذ شخوص طبيعيون تحيط بهم أحوالهم الطبيعية ، ومن هذه الاحوال الطبيعية ، أن يتعرضوا للخلط والتناقض ، أو للروايات المتشابهات عن هذا وذاك ".(١) وهكذا يرى العقاد أن تعرض أخبارهم للخلط ، وللروايات المتشابهة ، لا يلغى وجودهم الحقيقى .

ومما ينتسب للشعراء العذريين وينكره الدكتور طه حسين أن الشاعر كما هو معروف - كان يحرم من محبوبته اذا قال فيها غزلا . كما يرى أن هذا كان من صنيع الرواة لغرض فنى يتصل ببناء القصة الغرامية ليخلقوا منها أشخاص قصصهم ولتسلية جماعتهم (٢).

واذا كانت هناك مشابه ظاهرة بين قصائد الغزل العذرى أدت الى اختلاط اشعارهم وتشابهها ، فان ذلك التشابه يرجع الى ويمرون بتجربة واحدة ، ولانهم لم يكونوا يتكسبون بشعرهم ، مدحا لخليفة أو وال ، فانهم لم يحتفلوا احتفالا كبيرا فى الصياغة ، وانما احتفلوا بالصدق فى التعبير.

وقد طبق طه حسين مبدأ المستمد من النقد الفرنسى ، والذى يتكون من العصر والبيئة والجنس ، وهو يدرك ادراكا تاما للعلاقة بين الشعر - أو الادب بعامة - وبين عصره . ولكننا نعتقد أن " جميل " و " كثير " وغيرهما من العشاق كانوا أشخاصا حقيقيين ، وجدوا فى العصر الاموى

---

(١) عباس محمود العقاد ، جميل بثينة ، دار الشعب ، القاهرة د . ت ، ص ٩

(٢) حديث الاربعاء ، ج ١ مرجع سابق ، ص ١٨٠

وان سقوط بعض المعلومات عن بعض الشعراء منهم ، أو اختلاف الناس في أسم بعضهم ، لا ينفي وجودهم ، وخاصة وأن الدكتور طه حسين لا ينكر وجود جميل وكثير مثلا .

وطبقا لقاعدة طه حسين في بيان أثر البيئة على الشعر ، فلابد أن تكون للبيئة اليد الطولي في تحديد سمات الشعر وخصائصه ، فالشعر ليس الا تلبية لحاجات المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ثم يعود لنشأة الغزل العذري بما أصاب البدو من ظلم أو غبن ما كانوا يؤدونه من الزكاة والضرائب بعد أن اسلموا ، فهم لم يستفيدوا من اسلامهم الا العقيدة ، أما أحوالهم فلعلها ساءت بعد الاسلام د فعهم الى أن يطلبوا المثل الأعلى في الغزل بفعل الدين الإسلامي ، وبفعل ما يفرض عليهم المجتمع من عفة (١) ، يقول : " لم تتغير حياتهم المادية في جملتها ، بل ظلوا يلقون من الضيق ، ويقاسون من الشظف مثلما كانوا يلقون ويقاسون في العصر الجاهلي . أما حياتهم العقلية والمعنوية - بوجه خاص - فقد تغيرت تغيرا شديدا . " (٢)

ثم يرد الى عدم التوازن بين النواحي المادية للحياة والنواحي المعنوية فيها ، والمتمثلة في ما جاء به الاسلام ، ما شعر به أولئك الناس من يأس أدى الى ظهور هذا الغزل للتعبير عن هذا الموقف . (٣) وما حل بأولئك الشعراء العذريين ، حل باخوانهم الامويين من شعراء الغزل العذري فقد حيل بينهم ، وبين السلطان ، ومنعوا من مغادرة الحجاز فنزل بهم يأس شبيه بيأس العذريين (٤).

---

(١) انظر حديث الاربعاء ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١

(٢) ، (٣) المرجع نفسه ، ص ٢٢١

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٤٠ - ٢٤١

البيئة اذن أوجدت الغزل العذرى فى بيئة البدو والفقراء الذين أرادوا أن يلائموا بين ما نزل بهم من نقص فى المال بسبب الزكاة والضرائب وما أفادوه من حياة عقلية وروحية جاء بها الاسلام .

ولم يكن طه حسين وحده هو الذى التفت الى أثر الاسلام والبيئة على الشعر . فقد اتجه استاذنا الدكتور شوقى ضيف الى الاتجاه نفسه ، فاستغل عنصر البيئة استغلالا طيبا وواسعا فى كتابة التطور والتجديد فى الشعر الاموى ، كبيئة الحجاز ، ونجد والعراق ، ليتابع التطور الذى حدث فى هذه البيئات بعد الاسلام (١) .

والنوع الثانى من الغزل هو الغزل الحضرى ، وهو غزل يهتم بما يقع من لقاءات مادية بين العاشق ومعشوقته ، والشاعر فى هذا الغزل يتغزل بامرأة متحضرة يهواه ، وربما تعرض له هى بادئة بالغزل وهو يصد تيها ودلالا . وقد كان أولئك الشعراء من الارستقراطية القرشية ، ومن أكثر الناس ثراء وفراغا ، وجمالا ، وربما فروسية أيضا . وفرسان هذا الغزل هم عمر بن أبى ربيعة ، والاحوص . والعرجى . وقد كثر فى أشعارهم ذكر الرسل الى المرأة التى يحبونها داعين المرأة لزيارة الشاعر ، أو داعين الرحل لزيارة المرأة .

أما تصدى النساء لعمر ، فيظهر من قوله

قالت لترب لها تحدثها	لنفسدن الطواف فى عمر
قالت تصدى له ليعرفنا	ثم اغمزيه يا أخت فى خفر

---

(١) د . شوقى ضيف ، التطور والتجديد فى الشعر الاموى . طبعة ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢ — ٧٠

قالت لها قد غرته فابى ثم اسطرت تشتد فى أثرى (١)

وقد تعرضت أخبار هؤلاء الشعراء - كما هو معروف - لوضع والتزيد لان الناس فى تلك العصور كانوا يرون فى أخبار الشعراء وغيرهم مجرد أسماء يلهون بها ، ونضرب لذلك مثلا من ترجمة كتاب الاغانى لحياة الاحوص حيث يذكر لقاء الاحوص وصديق له لجارية تقول شعرا يعبر عن مشاعرها ، ويرد عليها الاحوص بشعر ، ثم تورد قصتها التى تتلخص فى أنها كانت أسيرة عند سيدها ، ثم تزوج زوجها (سيدها) بابنة عم له ، فنزلت منزلتها عنده من محبوبة الى خادمة ، فواعداها أن يكلما الخليفة عنها حتى يشتريها لتتحسن أحوالها ، وينفذا وعدهما و يشتريها الخليفة ، لتعيش فى قصر خاص أعده لها ، ولا ينتهى الامر عند هذا الحد ، بل انها أيضا تعطى الاحوص وصديقه العطايا . (٢) ولكن صاحب الاغانى بعد أن يورد تلك القصة ، يرفضها لانها مصنوعة وأن ما بها من شعر ليس من طراز شعر الاحوص . يقول : " أظن القصة كلها مصنوعة ، وليس يشبه الشعر شعر الاحوص ، ولا هو من طرازه " (٣).

وكما قلت فان هذين الضربين من الغزل لا يختلفان اختلافا جوهريا عن الغزل فى مقدمات القصائد ، وأن بينهما وبين ذلك الغزل مشابه ، كما أن بين شعر العذريين والحضريين مشابه كذلك .

ومن المشابه بين غزل العذريين والحضريين ، ما يمزج فيه الشاعر العذرى والحضرى بين عاطفته وزيارته للمرأة ، وشجاعته . فالحب والشجاعة

---

(١) الاغانى ، ج ١٢ ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر والطباعة ، ص ١٢٢

(٢) الاغانى ، ج ٢١ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ١٠٨ - ١١١

(٣) المرجع نفسه ، ص ١١١

والمخاطرة توأمان عندهما . ومن هنا نصبح المرأة وسيلة لبيان هذا الجانب البطولي أو شهرة له . نجد هذا في العصر الجاهلي عند عنترة كقوله :

يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم (١)

وقوله :

اذ يتقون بي الأسنة لم أخم ... عنها ولكنها تضايق مقدمي (٢)

الى أن يقول :

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدم (٣)

فاذا علمنا أن هذه الابيات السابقة وغيرها مما يدل على الشجاعة موجه الى عبلة ، وكأنه يشهدها على شجاعته : اذ يقول لها :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمي (٤)

ويأتي وصفه الجسدي المحدود للمرأة دليلا على جمالها لا على نظرته العادية لها كقوله :

اذ تستبيك بذي غروب واضح ... عذب مقبله لذيذ المطعم

وكأن فارة تاجر بقسيمة ... سبقت عوارضها اليك من الفم

أو روضة أنفا تضمن نبتها ... غيث قليل الدمن ليس بمعلم (٥)

أو قوله :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني ... أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

---

(١) ديوان عنترة ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٧٨ ، ص ٢٥

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٩ (٣) المرجع نفسه ، ص ٣٠

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٥

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٦ ، ١٧

فأجبتها : ان المنيّة منهل   لابد أن أسقى بكأس المنهل
فاقنى حياءك لا أبالك واعلمي   أني امرؤ سأموت ان لم اقتل (١)

فالشاعر يمزج الحب بالشجاعة ، ويقول عروة بن الورد ما زجا حبه زوجته له بشجاعته :

أرى أم حسان الغداة تلومني   تخوفني الاعداء والنفس أخوف
تقول سليمى : لو اقمت لسرّنا   ولم تدر أني للمقام أطوّف
لعل الذي خوّفتنا من أمامنا   يصادفه في أهله المتخلف (٢)

بل ان امرأ القيس يمزج عاطفته بالشجاعة أو بعبارة أخرى رغبته في المرأة بالشجاعة فيقول : عن زوج المرأة التي كان يزورها :

فأصبحت معشوقا وأصبح بعلها   عليه القتام سيء الظن والبال
يغط غطيط البكر شدّ خناقه   ليقتلني والمرء ليس بقتال
أيقتلني والمشرفي مضاجعي   ومسنونة زرق كأنياب أغوال
وليس بذي رمح فيطعنني به   وليس بذي سيف وليس بنبال (٣)

وهي محاولة لاضفاء طابع الشجاعة ، في زيارته لمرأة ـ يبدو أنها من وسط اجتماعي هابط ، وزوجها لانباهة له ، ولا شجاعة .

ويمزج المرقش الاكبر الشجاعة بالحب أيضا : فيقول :

هلا سألت بنا فوارس وائل   فلنحن أسرعها الى أعدائها

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٥
(٢) ديوانا عروة بن الورد والسموأل ، دار صادر بيروت ، د ، ت ص ٥١
(٣) ديوان امرىء القيس ، الطبعة الرابعة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٣٢ ، ٣٣

ولنحن أكثرها اذا عد الحصى ولنا فواضلها ومجد لوائها (١)

ويمزج المرار بن منقذ بين الحب والشجاعة فيقول :

عَجِبَتْ خَوْلَةُ إِذْ تُنكِرُني أَمْ رَأَتْ خَوْلَةُ شيخًا قد كَبِرْ

وكساهُ الدَّهْرُ سِبًّا ناصِعًا وتَحنَّى الظَّهْرُ منهُ فأُطِرْ

إِنْ تَرِي شَيبًا فإنِّي ماجِدٌ ذو بلاءٍ حَسَنٍ غَيْرُ غُمُرْ (٢)

ومن مزج الحب بالشجاعة عبد يغوث بن وقاص الحارثي في قصيدته المشهورة ، وهو في أسره : يقول :

وتضحك مني شيخةٌ عبشميةٌ كأنْ لم ترى قبلي أسيرًا يمانيا

وقد علمتْ عرسي مليكةُ أنني أنا اللَّيْثُ معدُوًّا عليه وعاديا

وكنت اذا ما الخيلُ شمَّصَها القنا لبيقا بتصريف القناةِ بنانيا (٣)

ويقول المزرد بن ضرار مازجا الحب بالشجاعة اذ يصف حد[illegible] ... تم يصور شجاعته .

والهو بسلمى وهي لذٌ حديثها لطالبها ، مسئول خير فباذل

وبيضاء فيها للمخالم صبوةٌ ولهو من يرنو إلى اللهو ساعل

ليالي اذ تصبي الحليم بدلها ومشي خروهل [illegible] غائل

وهي مهاة في صوارٍ مرادهُ [illegible] فيها الغيوث الهواطل

---

(١) المفضليات ، ج ١ ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٤ الطبعة الخامسة ، ١٩٧ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٢

(٣) المصدر نفسه ، ٥٨ .

وأسحم ريان القرون كأنه — أساود رمان السباط الأطاول
وتخطو على برد يتين غذاهما — نمير المياه والعيون الغلاغل

ثم يصور شجاعته بعد هذا الوصف للمحبوبة التي كان يلهو بها ، فيقول :

فمن يك معزال اليدين ، مكانه — إذا كشرت عن نابها الحرب خامل
فقد علمت فتيان ذبيان أنني — أنا الفارس الحامي الذمار المقاتل
وانى أرد الكبش والكبش جامح — وأرجع رمحي وهو ريان ناهل (١)

ولست أريد أن استقصي في هذا الامر ، وانما أردت أن أشير الى أن الشعراء حتى في العصر الجاهلي الاعفة منهم وغير الاعفة كانوا يمزجون الحب بالشجاعة وسوف نرى في العصر الاموي هذا المزج واضحا عند الحضريين من الغزليين ، وعند أصحاب الغزل العذري . يقول جميل :

فليت رجالا فيك قد نذروا دمي — وهموا بقتلي يابثين لقوني
اذا ما رأوني طالعا من ثنية — يقولون من هذا ؟ وقد عرفوني
يقولون لي أهلا وسهلا ومرحبا — ولو ظفروا بي خاليا ، قتلوني
وكيف ، ولا توفي دماؤهم دمي — ولا مالهم ذو ندهة فيدوني (٢)

ويقول جميل كذلك :

ولست بناس أهلها حين أقبلوا — وجالوا علينا بالسيوف وطوفوا
وقالوا : جميل بات في الحي عندها — وقد جردوا أسيافهم ثم وقفوا
وفي البيت ليث الغاب لولا مخافة — على نفس جمل والاله لارعفوا

---

(١) المفضليات ، ج ١ ، ص ٩٤ ، ٩٥
(٢) شرح ديوان جميل . المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان د . ت ، ص ٢٠٤

همت وقد كادت مرارا تطلعت الى حربهم نفسي ، وفي الكف مرهف
وما سرني غير الذي كان منهم ومني وقد جاءوا الى وأوجفوا (١)

ولا يقف الامر عند حد الشجاعة بل يتجاوزه الى الرغبة في المخاطرة التي ربما يسعد بها الشاعر ، والتي ربما أراد بها تأكيد شجاعته ، وقد سبق بهذه المخاطرة امرؤ القيس في العصر الجاهلي .

ويقول الاحوص وهو شاعر حضري :

فجئت أمشي على هَوْلٍ أجشمه تجشم المرء هولا في الهوى كرُم
اذا تخوفتُ من شيءٍ أقول له قد جَفَّ فامض بشيءٍ قدَّر القَلَم (٢)

فهو يعلم أنه لن يناله الا ماقدر الله له ، جفت الاقلام وطويت الصحف ويقول عمر في نهاية زيارة له لمحبوبته وقد فوجيء باشراق الصباح ، وباستعداد قوم المرأة للرحيل . وتعذر الخروج من عند المرأة علنا :

فما راعني الا مناد برحلة وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنوّر منهم وأيقاظهم ، قالت : أشر كيف تأمر
فقلت أباديهم فإما أفوتهم وإمّا ينال السيف ثأرا فيثار (٣)

وينبغي أن نتوقف قليلا عند المعايير الجمالية للمرأة في الادب الجاهلي لنرى هل امتدت الى العصر الاموي ، ومن قبله العصر الاسلامي أم لا ؟

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٣
(٢) الاغاني ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٩١
(٣) د . احمد موسى وآخرون قصائد عربية دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٨ . ص ٧٠ - ٧١

ولنعرف هل هذه الاوصاف المادية كانت دليلا على نظرة مادية، تخلو من المشاعر والعواطف، أم أن هذه صورة مثالية تخلع على المرأة، كما كانت تخلع القيم المثالية على الممدوح، والمرثي وغيرهما. وهناك قصيدة نموذجية في وصف هذا الجمال وهي للمرار بن منقذ يقول فيها:

رَاقَهُ منها بياض ناصع … يُونِقُ العينَ مُضَافٍ مُسْبَكِرّ

تَهْلِكُ المدراة في أفنانه … فإذا ما أرسلته يَنْعَفِرْ

جَعْدَةٌ فرعاءُ في جمجمةٍ … ضخمةٍ تَفْرُقُ عنها كالضُّفُر

شادخٌ غُرَّتُها من نسوةٍ … كُنَّ يفضلْنَ نساءَ الناسِ غُرّ

ولها عينا خذولٍ مُخْرِفٍ … تَعْلَقُ الضَّالَ وأفنانَ السَّمُر

وإذا تضحك أبدى ضحكها … اقحوانا قيدته ذا أشُر

لو تَطَعَّمْتَ به شَبَّهْتَهُ … عسلا شيب به ثلجٌ خَصِرْ

صَلْتَةُ الخدِّ طويلٌ جيدها … ناهد الثدي ولما ينكسر

مثل أنف الرِّئْمِ ينبي درعها … في لَبَانٍ بادِنٍ غير قَفِرْ

فهي هيفاءُ هضيمٌ كشحها … فَخْمَةٌ حيث يُشَدُّ المؤتزرْ

يبهظ المفضلَ من أردافها … ضُفُرٌ أرْدَفَ أنقاءً ضَفِرْ

وإذا تمشي إلى جارتها … لم تكد تبلغ حتى تنبهرْ

دَفَعَتْ رَبْلَتُها رَبْلَتَها … وتهادَتْ مثلَ ميلِ المُنْقَعِرْ

وَهْيَ بَدَّاءُ إذا ما أقبلتْ … ضخمةُ الجسم رداحٌ هَيْدَكُرْ

يُضْرَبُ السَّبْعُونَ في خَلْخَالِها … فإذا ما أكرهته ينكسرْ

ناعمتها أم صدقٍ بَرَّةٌ … وأبٌ بَرٌّ بها غيرُ حَكِرْ

فَهْيَ خذواءُ بعيشٍ ناعمٍ … بَرَدَ العيشُ عليها وقَصُرْ

لا تمسُّ الأرضَ إلا دونها | عن بلاط الأرضِ ثوبٌ مُنْعفِرْ
تطأ الخزَّ ولا تكرمه | وتطيل الذيلَ منه وتجرّ
وترى الريط مواد يسَّع لها | شُعُرًا تلبسها بعد شعُرْ
ثم تنهدُّ على أنماطها | مثلما مال كثيبٌ مُنْقعِرْ
عبق العنبر والمسك بها | فهي صفراءُ كعُرْجُونِ العُمُرْ
إنما النَّومُ عشاءً طفلًا | سنةٌ تأخذها مثلَ السُّكُرْ
والضُّحى تغلبها وقد تهتا | خَرَقَ الجُؤذُرِ في اليومِ الخَدِرْ
وهي لو يُعْصَرُ من أردانها | عَبَقُ المسكِ لكادت تنعصرْ
أملح الخلقِ إذا جُرِّدتْها | غير سِمْطين عليها وسُوُرْ
لحَسِبْتَ الشمسَ في جلبابها | قد تبدَّتْ من غمامٍ مُنْسفِرْ
صورةُ الشمسِ على صورتها | كلما تغربُ شمسٌ أو تَذُرّْ (١)

والشاعر بعد أن يصف محبوبته بتلك الصفات ، من الجمال الجسدي والرائحة الطيبة ، والحسن البارع ، والحياة الناعمة ، يتحدث عن أثرها في نفسه ، وعن حبه العنيف لها ، فيقول :

تركتني لستُ بالحيّ ولا | ميّتٍ لاقى وفاةً فقُبِرْ
يسألُ الناسُ أحُمَّى داؤه | أم به كان سُلالٌ مستترْ
وهي دائي وشفائي عندها | منعته فهو مَلْويٌّ عَسِرْ
وهي لو يقتلها بي إخوتي | أدرك الطالبُ منهم وظفرْ
ما أنا الدهرَ بناسٍ ذكرها | ما غدتْ ورقاءُ تدعو ساقَ حُرّْ (٢)

---

(١) المفضليات ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٩٠ ـ ٩٢
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٢ ، ٩٣

وهو ما يدل على أن الاوصاف الجسدية للمرأة لم تكن تعني في كل الاحوال النظرة المادية لها . فاذا نحن أغضينا عن بعض الاوصاف الجسدية للمرأة التي تعتبر أداة متعة عند بعض الشعراء الجاهليين . مثل وصف النابغة الذبياني للمتجردة زوجة النعمان بن المنذر (١) أو وصف طرفة للمغنية (٢) . وإن كان في مطلع القصيدة قد وصف امرأة أخرى لعله يهواها بصفات جميلة جسدية ، ولكنه لم يهبط بها الى مستوى المتعة الجماعي ، كما فعل وهو يصور المرأة المغنية ، فقال :

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن ... مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

خذول تراعي ربربا بخميلة ... تناول أطراف البرير وترتدي

وتبسم عن ألمى كأن منورا ... تخلل حر الرمل دعص له ند

سقته اياة الشمس الا لثاته ... أسف ، ولم تكدم عليه باثمد

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها ... عليه نقي اللون لم يتخدد (٣)

، اذا تجاوزنا عن مثل تلك الاوصاف المادية المسفة أو التي تحول المرأة الى مجرد أداة متعة ، فاننا نجد أن الوصف الجسدي المثالي للمرأة ، لم يكن يحمل طابع النظرة المادية لها . ويرى الدكتور عبد القادر القط أن تصوير المرأة بالصورة المادية ، وأن يقصر جمالها على تلك الصورة وحدها ليس نابعا من الرؤية المادية للمرأة ، وانما جاء نتيجة للاوضاع الاجتماعية التي تفصل بين الجنسين ، وأن ذلك الغزل كان وليد القلق الذي كان يحسه الرجل والمرأة كلاهما في ذلك العصر نتيجة التطور الحضاري الذي

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٨٩ - ٩٧

(٢) شرح المعلقات العشر ، الزوزني ، المكتبة الشعبية ، بيروت ، لبنان ، د . ت ص ٣٩

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠ ، ٣١

لحق بالمجتمع العربي عندئذ (١)، يقول : " ومن هنا كان هذا الوصف المادي لمظاهر الجمال انعكاسا لاوضاع اجتماعية ، وليس نزعة " حسية " عند عمر تقابل النزعة النفسية أو " الروحية " عند العذريين . والحق أنه لم يكن هناك " تقابل " أو " مفارقة " حاسمة بين العذريين وعمر ابن ابي ربيعة ونظرائه ، صحيح ان هناك وجوه خلاف جوهرية بين النزعتين ، ولكن بينهما مع ذلك " تداخلا " من جانب النزعة العمرية على الأقل " (٢).

ولا مانع من أن يكون للتطور الحضاري أثره على الغزل ، ولكننا نرى أن الصورة الجسدية للمرأة ومنذ العصر الجاهلي لم تكن اشارة مؤكدة تهدف الى تصوير الشاعر للمرأة على أنها جسد فحسب . وانما كانت محاولة من الشاعر لوصفها بصورة جسدية مثالية تبين عواطفه نحوها وتبرز جمالها ، دون أن يقلل هذا من مكانتها في نفسه ، وان كانت هناك صور مثالية للمرأة كالصورة التالية التي يصورها لنا الشنفرى الازدي يقول :

لقد أعجبتني لا سقوطا قناعها — اذا ما مشت ، ولا بذات تلفّت
تبيت بعيد النوم تُهدي غبوقها — لجارتها إذا الهدية قلّت
تَحُلُّ بمنجاةٍ من اللّوْمِ بيتَها — إذا ما بيوتٌ بالمذمّةِ حُلّت
كأن لها في الارض نسيا تقصّه — على أمّها ، وإنْ تكلمك تَبْلَتِ
أميمة لا يخزي نَثاها حَليلُها — إذا ذكر النسوان عفّتْ وجلّتِ
إذا هو أمسى آب قرّة عينه — مآب السعيدِ لم يَسَلْ أين ظلّتِ

---

(١) انظر بالتفصيل ، دكتور عبد القادر القط ، في الشعر الإسلامي والاموي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٧٦ ، ص ١٨٣ — ١٨٥

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٨٥

فَدَقَّتْ ، وَجَلَّتْ ، واسبكرّت وأكملت   فلو جُنّ إنسانٌ من الحسن جُنَّتِ (١)

ومن هنا وردت الاوصاف الجسدية للمرأة عند العذريين كما وردت عند الحضريين . يقول جميل مصورا الجمال الجسدى لبثينة :

قَناةٌ من المُرّانِ ما فوق حقوها   وما تحته منها نَقًا يتقصّفُ

لها مقلتا ريم ، وجيدُ جدايةٍ   وكَشْحٌ كطيِّ السابريّةِ أهيَفُ (٢)

ويقول :

غرّاءُ مبسامٌ كأنّ حديثها   دُرٌّ تحدّر ، نظمه منثورُ

محطوطةُ المتنين ، مضمر الحشا   ريا الروادف ، خلقها ممكورُ

لا حسنها حُسْنٌ ، ولا كدلالها   دَلٌّ ، ولا كوقارها توقيرُ (٣)

والقارئ يلاحظ أن جمال الجسد ، لا يمنعها من الوقار

أو قوله :

مفلّجةُ الأنياب لو أن ريقها   يداوى به الموتى ، لقاموا من القبر (٤)

وقوله يصف جمالها ويتمنى لقاءها ويصفها وصفا جسديا :

حلت بثينةُ من قلبي بمنزلة   بين الجوانح لم ينزل بها أَحَدُ

صادت فؤادي بعينيها ومُبتَسَمٌ   كأنه حين أبدته لنا بَرَدُ

عذبٌ كأن ذكي المسكِ خالطه   والزنجبيل وماءُ المُزْنِ والشَّهَدُ

---

(١) المفضليات ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١٠٩

(٢) شرح ديوان جميل ، مصدر سابق ، ص ٣

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٥

وجيد أَدْمَاءَ تحنو إلى رشأ ... أغَنَّ لم يتبعها مثله ولد

رجراجةٌ رخصة الاطراف ناعمةٌ ... تكاد من بدنها فى البيت تنخضدُ

خدلٌ مخلخلها ، وعثٌ مؤزرها ... هيفاءُ لم يغذها بؤسٌ ولا وبدُ

هيفاء مقبلةٌ عجزاء مدبرة ... تمت فليس يرى فى خلقها أودُ

نعم لحاف الفتى المقرور يجعلها ... شعاره ، حين يخشى القرُّ والصردُ

وقوله :

كلفت بجماء المدامع طفلة ... حبيب الينا قربها لو تاصف

من اللف أفخاذ اذا ما تقلبت ... من الليل وهنا أثقلتها الروادف

شفاء الهوى ، أمثالها منتهى المنى ... بها يقتدى البيض الكرام العفائف

تضوف الخطى عند الضحى ، عبلة الشوى ... اذا استعجل المشى العجال النحائف

أناة كأن الريق منها مدامة ... بعيد الكرى أو ذاقه المسك فائف

فتلك التى هام الفؤاد بذكرها ... سفاها وبعض ، وبعض الذكر للقلب شاغف (١)

وهذه الاوصاف للارداف ، والافخاذ ، والصدور ، والريق ، لاتعنى كما قلنا ان المرأة فى نظره ليست الا جسدا ، لان المرأة اذا كانت جسدا يغنى عنها غيرها . ومن هنا قلنا أنها أوصاف مثالية يريد بها الشاعر أن ينوه بجمال محبوبته ، ثم يتبع ذلك بذكر عاطفته نحوها .

ويقول مجنون ليلى مصورا بعض الاوصاف الجسدية لليلى ، وان كان هذا نادر عنده ، ويأتى على شكل اشارة سريعة كقوله :

استعملى نفح الصبا ثم شاقنى ... ببرد ثناها أم حسان شائق

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٨

كأنّ على أنيابها الخمر شجّها   بماء سَحَابٍّ آخر الليل غابقُ

وما ذقته إلا بعيني تَفرُّسًا   كما شيم في أعلى السحابة بارقُ (١)

فهو يشبه رقيها بالخمر ، وقد يطيل في بعض ذلك الى حد ما . كقوله :

أنيري مكان البدر إن أَفَلَ البَدْرُ   وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجْرُ

ففيك من الشمس المنيرة ضوءها   وليس لها منك التَبَسُّمُ والثغرُ

بلى لك نورُ الشمس والبدرُ كلّهُ   ولا حملت عينيك شمسٌ ولا بدرُ

لك الشّرقَةُ اللألأ والبدر طالع   وليس لها منك الترائب والنحرُ

ومن أين للشمس المنيرة بالضحى   بمكحولة العينين في طرفها فترُ

وأنّىَ لها من دَلّ ليلى إذا انثنت   بعيني مهاة الرمل قد مسها الذعر

تبسم ليلى عن ثنايا كأنها   أقاحٍ بجرعاء المراضين أو دُرّ

منعمةٌ لو باشر الذَّرُّ جلدها   لاثر منها في مدارجها الذَّرُ

إذا أقبلت تمشي تقارب خطوها   الى الاقرب الادنى تَقَسَّمَها البُهْرُ

مريضةُ أثناء التعطّفِ إنها   تخاف على الارداف يَثْلُمُهَا الخصر (٢)

ولكننا نلاحظ أن أغلب شعر المجنون يخلو من الاوصاف الجسدية أو يكاد . حتى لتصبح تلك الصورة فريدة في شعره ، ولكنها صورة تقليدية على أية حال .

ولا يخفى أن وصف الريق والاسنان ، والفم أوصاف قديمة في الشعر العربي فضلا عن الاوصاف الجسدية الاخرى . فمن وصف الوجه والاسنان

---

(١) ديوان مجنون ليلى ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٠٣

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩

والريق وطيب الرائحة قول سويد بن أبي كاهل اليشكري •

بَسَطَتْ رابعة الحبل لنا	فوصلنا الحبل منها ما اتسع
حُرَّة تجلو شتيتا واضحا	كشعاع الشمس في الغيم سطع
صقلته بقضيب ناضر	من أراك طيِّبٍ حتى نصع
أبيض اللون لذيذًا طعمه	طيِّبَ الريق إذا الريق خدع
تمنحُ المرآةَ وجها واضحا	مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع
صافي اللون وطرفا ساجيا	أكحل العينين ما فيه قمع
وقرونا سابغا أطرافها	غللتها ريح مسكٍ ذي فنع (١)

والامثلة كثيرة على الصلة بين الاوصاف الجسدية للمرأة في العصر الاسلامي والاموى ، وبين تلك الاوصاف في العصر الجاهلي •

بقيت هناك نقطة تتصل بجميل وبالعذريين فالاستاذ العقاد يرى أن العلاقة بين جميل ، وبين بثينة كانت علاقة مادية • ويتخذ دليلا على ذلك بعض أبيات جميل (٢) ، ويقول الاستاذ العقاد : " فتلك جملة من الاخبار المتفرقة تفضي بنا الى نتيجة ظاهرة ، وهي أن الهوى بين جميل وبثينة لم يكون خلوا من نزعات الجسد ، ولم يكن خلوا كذلك من الشك والريبة وتهمة الخيانة من الجانبين • فماذا نقول في ذلك ؟ أنقول أنه تناقض ؟ نعم هو تناقض لاشك فيه ، ولكنه تناقض في طبيعة العا[طفة] نفسها أو في حالاتها وتعبيراتها ، وليس هو مع ذلك بمانع حصولها

---

(١) المفضليات ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٤٦

(٢) عباس محمود العقاد ، جميل بثينة ، دار الشعب ، القاهرة د • ت ، ص ٤٦ — ٥٠ •

لانها تحصل متناقضة الحالات والتعبيرات ، وكذلك العواطف جميعا لا تلتزم الدقة المنطقية في جميع الاوقات ٠٠ الخ ٠(١).

ومن الاشعار التي بنى الاستاذ العقاد عليها — في أغلب الظن — أن العلاقة بين جميل وبثينة كانت علاقة مادية قوله :

ولو أرسلت ، يوما بثينة تبتغي   يميني ولو عزّت عليّ يميني

لاعطيتها ما جاء يبغي رسولها   وقلت لها بعد اليمين سليني

سليني مالي ، يا بثين ، فإنما   يبيّن عند المال كل ضنين (٢)

أو قوله :

وقول : بت عندي فديتك ليلة   أشكو اليك فان ذاك يسير (٣)

وغير ذلك من الاشعار التي يوردها في كتابه ٠

واذا كانت الاخبار التي يوردها أبو الفرج تذكر لقاءات كثيرة لهما ، ومبيته عندها ، وان كان في عفاف ٠ فان تلك الاخبار لا تذكر أنهما كان يلتقيان معا في تلك الاخبار أحيانا من مبالغة ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٠

(٢) شرح ديوان جميل ، مصدر سابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٥

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٠

نصوص من
الغزل العذرى
وتراجم الشعراء

من الغـزل العـذري

جميل بن معمـر (ت ٨٥ هـ)

هو جميل بن عبد اللـه بن معمر : " شاعر فصيح مقدم جامع للشعـر والروايـة ، وكـان راويـة هدبـة بن خشرم ، وكـان هدبـة شاعرا راويـة للحطيئـة وكـان الحطيئـة شاعرا راويا لزهير وابنـه . وقـال ابو محلم : آخر من اجتمـع لـه الشعر والروايـة كثير ، وكـان راويـة جميـل ، وجميـل راويـة هدبـة ، وهدبـة راويـة الحطيئـة ، والحطيئـة راويـة زهير " (١).

ويتهـم كثير " عزة " بأنـه لـم يكـن عاشقـا فـي حـين كـان " جميـل " صادق الهـوى . يقـول أبو الفـرج : " كـان لكثير من النسيـب حـظ وافـر ، وجميـل مقدم عليـه ، وعلـى أصحـاب النسيـب فـي النسيـب ، وكـان كثير راويـة جميـل ، وكـان جميـل صـادق الصبابـة والعشـق ولـم يكـن كثير بعاشـق ، ولكنـه كـان يتقول .. " (٢)

" وكـان أول ما علـق بثينـة أنـه أقبـل يومـا بأبلـه حـتى أوردهـا واديـا يقـال لـه بغيض فاضطجـع وأرسـل ابلـه مصعـدة ، وأهـل بثينـة بذنـب الـوادي ، فأقبلت بثينـة وجـارة لـهـا وارد تيـن المـاء فمرتـا على فصـال لـه بـروك فعزمتهـن بثينـة - يقـول نفرتهـن - وهـي اذ ذاك جويريـة صغـيرة ، فسبهـا جميـل ، فافترت عليـه فملـح اليـه سبابهـا ، فقـال :

وأول ما قـاد المـودة بيننـا	بـوادي بغيض يابثين سبـاب
وقلنـا لـهـا قـولا فجـاءت بمثلـه	لكـل كـلام يا بثين جـواب .. " (٣)

وقد وصـف جميـل بالحسـن ، كمـا عـرف بالحسـب والنسـب ، فقـد كـان أبـوه

---

(١) الاغانـي ، جـ ٨ ، ص ٩١

(٢) المرجـع السابق ، ص ٩٥

(٣) المرجـع نفسـه ، ص ٩٨

سيدا ثريا من سادات قومه ، ويصفه الاستاذ عباس محمود العقاد بأنه كان أحمق مغرورا ، مما دفعه الى التصريح باسم معشوقته في شعره ، وهو يعلم أن هذا يحول بينه وبين الزواج منها ، ورغم تحذيرها اياه من ذلك (١) . وقد رفض جميل أن يمدح أحدا بشعره حتى الخلفاء أنفسهم رغم أن بعضهم كان يطمع في ذلك (٢) اعتزازا بحسبه ونسبه ، وفخره بذلك يؤكد ما نقول . وقد ظل على علاقة عاطفية ببثينة حتى بعد زواجها بآخر وان كان هذه العلاقة توصف بأنها كانت عفيفة ، وهو ما يدفع الاستاذ عباس العقاد الى رفض هذه الصفة ، واعتبار العلاقة بينهما لم تخل من شوائب المنفعة المادية وقد غضب قوم بثينة من زيارته لها " فمشت مشيخة الحي الى أبيه — وكان يلقب صباحا وكان ذا مال وقدر في أهله — فشكوه اليه ، وناشدوه الله والرحم وسألوه كف ابنه عما يتعرض له ويفضحهم به في فتاتهم ، فوعدهم كفه ومنعه ما استطاع ، ثم انصرفوا . فدعا به فقال له : يابني حتى متى أنت عمه في ضلالك ، لا تأنف من أن تتعلق بذات محل يخلو بها وينكحها وأنت عنها بمعزل ، ثم تقوم من تحته اليك فتغرك بخداعها وتريك الصفاء والمودة ، وهي مضمرة لبعلها ما تضمره الحرة لمن ملكها فيكون قولها لك تعليلا وغرورا ، فاذا انصرفت عنها عادت الى بعلها على حالتها المبذولة ، ان هذا لذل وضيم ما أعرف أخيب سهما ، ولا أضيع عمرا منك . فأنشدك الله ، الا كففت ، وتأملت أمرك ، فانك تعلم أن ما قلته حق ، ولو كان اليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها ، ولكن هذا أمر قد فات ، واستبد به من قدر له ، وفي النساء عوض ، فقال له جميل : الرأي ما رأيت ، والقول كما قلت ، فهل رأيت

---

(١) الاستاذ عباس محمود العقاد ، جميل بثينة ، دار الشعب ، القاهرة د. ت. ص ٢٣ وذلك لانه بعد أن نصحته بثينة بألا يذكر اسمها في شعره حتى لا يعرف هواهما فلا يتزوجا يعلن عشقهما اطاعته لنصيحتها : فيقول :

لا ، لا أبوح بحب بثينة انها   أخذت على مواثقا وعهودا

(٢) عباس العقاد ، جميل بثينة ، مرجع سابق ، ص ٢٠ ، ٢١

قبلي أحدا قدر أن يدفع قلبه هواه ، أو ملك أن يسلي نفسه ، واستطاع أن يدفع ما قضي عليه ، والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي أو أزيل شخصها من عيني لفعلت ، لكن لا سبيل الى ذلك ، وانما هو بلاء بليت به لحين قد أتيح لي ، وأنا امتنع من طروق هذا الحي ، والالمام بهم ، ولو مت كمدا ، وهذا جهدي ، ومبلغ ما أقدر عليه ، وقام وهو يبكي ، فبكى أبوه ومن حضر جزعا لما رأوا منه »(١).

وهذا النص يبين — صدق ما يقال من أن علاقة ما كانت تربط بين جميل وبثينة حتى بعد زواجها ، وأنه كان يزورها ، بعد هذا الزواج ٠

وقد أهدر السلطان دمه ان هو ذهب الى ديار قوم بثينة ، فضاقت الدنيا به فكان يصعد مكانا مرتفعا يتنسم الريح من نحو حي بثينة ويقول :

أيا ريح الشمال أما تريني ... أهيم وأنني بادي النحول

هبي لي نسمة من ريح بثن ... ومني بالهبوب على جميل

وقولي يا بثينة حسب نفسي ... قليلك أو أقل من القليل

فلما بدا الصبح انصرف (٢)

جميل بن معمر في الغزل

هذا نموذج للغزل العذري الذي يصور ما جد على الغزل العربي في صدر الاسلام من قيم جديدة تسمو بالعاطفة ، وتبتعد بها عن كل ما هو مادي بين الرجل والمرأة ٠

---

(١) الاغاني ، ج ٨ ، ص ١٢٩ — ١٣٠

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٩

القصيـــــدة

١ ـ أمين منزل قفر تعفت رسومه شمال تغاديه ، ونكباء حرجف

٢ ـ فأصبح قفرا ، بعد ما كان آهلا وجمل المنى تشتو به ، وتصيف

٣ ـ ظللت ، ومستن من الدمع هامل من العين ، لما عجب بالدار ، ينزف

٤ ـ أمنصفتي جمل ، فتعدل بيننا اذا حكمت ، والحاكم العدل ينصف

٥ ـ تعلقتها ، والجسم مني مصحح فما زال ينمو حب جمل وأضعف

٦ ـ الى اليوم ، حتى سل جسمي وشفني وأنكرت من نفسي الذي كنت أعرف

٧ ـ قناة من المران ما فوق حقوها وما تحته منها نقا يتقصف

٨ ـ لها مقلتا ريم ، وجيد جداية وكشح كطي السابرية أهيف

٩ ـ ولست بناس أهلها حين أقبلوا وجالوا علينا بالسيوف وطوفوا

١٠ ـ وفي البيت ليث الغاب لولا مخافة على نفس جمل ، والاله ، لارغفوا

١١ ـ هممت ، وقد كادت مرارا تطلعت الى حربهم نفسي ، وفي الكف مرهف

١٢ ـ وما سرني غير الذي كان منهم ومني ، وقد جاؤا الي وأوجفوا

١٣ ـ فكم مرتج أمرا أتيح له الردى ومن خائف لم ينقصه التخوف

١٤ ـ أان هتفت ورقاء ظلت ، سفاهة تبكي ، على جمل ، لورقاء تهتف ؟

١٥ ـ فلو كان لي بالصرم ، ياصاح ، طاقة صرمت ، ولكني على الصرم أضعف

١٦ ـ لها في سواد القلب بالحب منعة هي الموت ، أو كادت على الموت تشرف

١٧ ـ وما ذكرتك النفس ، يابثن ، مرة من الدهر ، الا كادت النفس تتلف

١٨ ـ والا اعترتني زفرة ، واستكانة وجاد لها سجل من الدمع يذرف

١٩ ـ وما استطرفت نفسي حديثا لخلة أسر به ، الا حديثك أطرف

٢٠- وبين الصفا والمروتين ذكرتكم　　بمختلف ، والناس ساع وموجف

٢١- وعند طوافي قد ذكرتك مرة　　هي الموت ، بل كاد على الموت تضعف

الشرح :

(١، ٢) تعفت الرسوم : انطمست ولم يظهر معالمها . تقاديه : تباكره والبكرة : الغدوة . الرسوم : آثار الديار الباقية بعد رحيل أهلها عنها والنكباء : ريح انحرفت ووقعت بين ريحين .
آهلا : مكان آهل ، أي له أهل أو مكان مسكون ، ومكان مأهول ، فيه أهله . الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب .

يصور جميل وقوفه على أطلال ديار حبيبته ، وقد اندثرت معالمها لان ريح الشمال والرياح الاخرى الباردة العاصفة ، تحمل كل ما من شأنه اخفاء آثار تلك الدار . وقد أصبح هذا المنزل قفرا بعد ما كان عامرا بمن كانوا يسكنونه ، اذ كانت بثينة وقومها يسكنون به ، وهو يذكر هنا اسم جمل ، ولكنه يريد بثينة ، وفي هذا محاولة منه لاخفاء اسمها ، وان عاد فذكر اسمها صريحا في بيت آخر . أو بعبارة أخرى كانت جمل تقضي به الشتاء والصيف ، أي تقيم به اقامة دائمة

(٣) المستن من الدمع : الغزير المصبوب
هامل : يفيض بالدمع . هملت عينه هملانا فاضت . عجت : رجعت .
وقفت في الدار التي كانت تسكنها حبيبتي ، وقد سال دمع العين مني غزيرا ، اذ ثارت ذكرياتي فلم أتمكن من السيطرة على مشاعري .

(٤) أنصف فلانا : أرجع اليه حقه ، والانصاف : العدل
الحاكم : من يحكم في أمر ما ، والحاكم العدل : أي المنصف العادل ينصف : يحكم بالعدل .

هل ستتصفني جمل ، فتمنحني مودتها ، لانها فيما يبدو كانت غاضبة عليه والحاكم العادل ينصف اذا حكم بين الناس ، فكأنه يقول لها لا تقطعي صلتك بي ، وكوني عادلة في معاملتي •

(٥) تعلقتها : أي عرضت لي فهويتها ، وعلق فلان امرأة : أحبها • ينزف : يسيل دمه حتى يفرط • مصحح : الصح والصحة والصحاح : ذهاب المرض ، والبرء من كل عيب •
أحببتها وأنا صحيح الجسم والعقل لا مرض بي •

(٦) سل جسمي : هزل ، وأصله من السل وهو قرحة تصيب الرئة •
شفني : شف جسمه شفوفا : نحل ، وشفه الهم : هزله •
وانكرت : جهلت
ما زلت أحبها حتى اليوم حتى أصبت بالهزال والمرض ، وأصبحت أجد في نفسي أمورا أجلها ، بعد ما كنت أعرف عن نفسي كل شيء •

(٧) المران : شجر باسق ، ورماح القنا ، حقوها : كشحها •
قصفه يقصفه : كسره
يصف رشاقتها ويبين جسمها بالرمح المأخوذ من شجر المران ، أو لعله يقصد طولها أيضا ، ويصف أعلى جسمها بالمران رشاقة ، ويصف ما تحته — وهو ردفها — بنقى الرمل ، وهو التل الصغير من الرمل •

(٨) جيد : عنق ، جداية : غزال ، والسابرية : السابري الثوب الرقيق الجيد • وأهيف : الهيف ضمر البطن ورقة الخاصرة •
يشبه الشاعر عيني محبوبته بعيني الرئم جمالا ، والرئم هو الظبي الخالص البياض • ويشبه عنقها في جماله عنق الغزال • وخصرها ضامر : أهيف كأنه ثوب سابري مطوي • [illegible] رقيق فاذا طوي كان ضئيلا •

(٩) جالوا : طافوا ، وطوفوا : داروا حول المكان أو حول الشيء ٠
ولست بناس قومها : لن أنسى ذلك ٠
ولن أنسى قومها حين طافوا بنا وجالوا محاولين قتلنا ٠

(١٠) الليث : الاسد
أرعفه : أعجله ، والرعاف الدم : وربما يكون قصد بالارعاف قتلهم
واسالة دمهم ٠
يصور نفسه بأنه فى شجاعة ليث الغاب ، ويستطيع مواجهتهم بسيفه
ولولا خوفه على جمل (بثينة) لجعلهم يلوذون بالفرار ، أو ...
بالهرب ودماؤهم تنزف ٠

(١١) هممت : نويت أن أفعل ٠ تطلعت : استشرفت
هممت بحربهم ، وأوشكت نفسى أن تقوم بحربهم ، وفى يدى سيف
مرهف قاطع ٠

(١٢) وما سرنى الا ما حدث منهم من مجيء ، لقتلى ، ومن استعدادى لقتالهم
وقد جاءوا الى مسرعين ٠

(١٣) مرتج : من الرجا وهو الامل ٠ أتيح له : قدر له الردى
ينقصه : ينقص منه شيئا
فكم رجل أو انسان يأمل خيرا من سعيه ، ولكن يقدر الله له الموت
فلا يحقق ما كان يرجوه ويأمله ٠ وكم من ... من الموت أقدم فلم
يصبه بضرر اقدامه هذا ٠

(١٤) ورقاء : حمامة
سفاهة : نقص العقل ، تبكى : بكاه : هيجه للبكاء
تهتف : هتفت : صاتت ٠٠ وبكاء : بكى عليه ورثاه

اذا صاحت حمامة أو عنت ظللت تبكي شوقا الى جمل ، لمجرد أن الحمامة تصيح ؟ والاستفهام للتعجب •

(١٥) الصرم : القطيعة • طاقة : قدرة • ياصاح : يا صاحبي
لو كان بامكاني أن أقطع صلتي بجمل هذه لقطعتها ولكني لا طاقة لي بذلك ولا قدرة لي عليه •

(١٦) سواد القلب : والسواد من القلب : حبته ، وكذلك سوداؤه •
تشرف : توشك
منعة : منع صار منعا ، لها في القلب ما يمنعها من الخروج منه كأنها في حصن منيع •
الحب يعطيها مناعة في القلب فهي في القلب في مكان منيع لا يمكن اخراجها منه •• وهذه المنعة تصل في قوتها الى حد قوة الموت أو تشرف بي عليهم •

(١٧) اذا ذكرتك النفس يا بثينة مرة من الزمن الا كادت النفس تهلك •

(١٨) الزفرة : أخرج نفسه بعد مده اياه •
استكانة : أستكان : خضع وذل
سجل : الدلو •• يذرف : يسيل
والا أصابتني زفرة ، وخضوع ، وسالت دموعي بصورة مبالغ فيها •

(١٩) استطرف : وجد الشيء طريفا : أي غريبا • الخلة : الصديقة
وما وجدت حديثا في طرافة حديثها ، فحديثها أطرف من أحاديث غيرها من النساء •

(٢٠) مختلف : مكان يذهب الناس فيه ويجيئون ويخلف بعضهم بعضا به •
ساع : قصد ، وعمل ، ومشى
موجف : مسرع

وقد ذكرتك يا بثينة بمكان ازدحم بالناس ، ويخلف فيه بعضهم بعضا والناس هذا يسير على مهل والآخر مسرع .

(٢١) وعند طوافي حول الكعبة ذكرتك مرة ، فكان الاثر الذي أحدثته شديد على النفس مؤلما لها ايلام الموت ، بل كاد تصبح ضعف الموت .

جميل بن معمر (في الغزل)

وهذه مقطوعة أخرى يعرض فيها جميل لعلاقاته ببثينة ، وكيف أنها أماتته بهواها في يوم الحجون ، وكيف أنها لا تفي بوعد وتدل عليه دائما ، وتهجره طاعة للعواذل ، بينما هو لا يطيع عوازله ، ويصور موقفه منهم ، ويصور تصميمه على البقاء على حبها ، فهو غزل عذري لا يسعى الى غاية بعده .

القصيدة

١ — صادت فؤادي يابثين حبالكم	يوم الحجون وأخطأتك حبائلي
٢ — منيتني ، فلويت ما منيتني	وجعلت عاجل ما وعدت كآجل
٣ — وتثاقلت لما رأت كلفي بها	أحبب الي بذاك من متثاقل
٤ — وأطعت في عواذلا فهجرتني	وعصيت فيك جهدهن عواذلي
٥ — حاولنني لأبت حبل وصالكم	مني ، ولست وان جهدن بفاعل
٦ — فرددتهن ، وقد سعين بهجركم	لما سعين له بأفوق ناصل
٧ — يعضضن من غيظ على أناملا	ووددت لو يعضضن صم جنادل
٨ — ويقلن انك يا بثين بخيلة	نفسي فداؤك من ضنين باخل

الشرح :

(١) حبال : مقصود حبالة الصياد . الحبائل : جمع حبالة : المصيدة
لقد صاد حبالك فؤادى فوقعت فى هواك فى يوم الحجون ، والحجون بمكة . فى حين عجزت عن صيدك ، أو التأثير على قلبك لقد أخطأتك حبائلى . أى نجحت فى صيدى وفشلت أنا .

(٢) لنواه : مطله ، ولواه يدينه مطله ولم يؤد ما عليه له من دين .
الاجل : المتأخر المؤجل وضده العاجل .
منيتني بالوصال ، ولكنك مطلت فلم تصليني ، وجعلت ما وعدت به من الوصال العاجل كالوصال الاجل .

(٣) وتثاقلت : تثاقل عنه : ثقل وتباطأ
كلفي بهما : ولعى بها وحبى الشديد لها ، والكلف : الرجل العاشق وكلف به أولع : والمتثاقل : المتباطىء .
وتباطأت وتكاسلت ، لما رأت شدة حبى لها ، فما أحبها الى من متثاقلة أن تاسها لا يقلل من حبى لها .

(٤) العواذل : جمع عاذلة ، وهى من تقوم على الحب أو غيره
والعاذلة : اللائمة . جهدن : بذلن الجهد والطاقة فى ذلك ، أو اجتهدن .
لقد أطعت من لمنك فى حبى ، وحرضنك على قطيعتى ، فى حين عصيت عواذلى رغم ما بذلن من جهد فى اقناعى بذلك . لاحظ الطباق بين : أطعت : وعصيت .

(٥) أبت : أقطع
بذلن محاولات كثيرة لاقطع حبل الوصال بيني وبينكم ، ولكنى مهما اجتهدوا فلن أفعل ما يريدون .

(٦) الهجر : هجره هجرا وهجرانا : صرمه ، وهجر الشيء : تركه
أفوق : ناصل : الفوق موضع الوتر من السهم ، وناصل يعني له نصل
ويقصد سعين للقضاء على ما بيننا بسهم معد لذلك •
ونصل السهم : جعل فيه نصلا
ردد ت أولئك العذال — لما سعين لكي أهجرك — محاولا تقتل ما بيننا
بسهم معهد للانطلاق ، وبه نصل قاتل •

(٧) الانامل : الاصابع
ردد تهن مغيظات أو ردد تهم — العذال — مغيظهن ، لقد رجع ......
اللائمات مغيظات ولشدة غيظهم يعضضن أصابعهن ولقد ودد تـ ......
يعضضن حجارة صماء ليكون ذلك أكثر ايلاما لهن •

(٨) ويقلن — يقصد العاذلات — انك بخيلة لا تصليننى أفديك بنفسى
يا بثين أيتها البخيلة •

مجنـــون ليلـــــى

اختلف في مجنون ليلى هل هو شخصية حقيقية ، أم أسطورة لا وجود لها • وأبو الفرج يذكر روايات تثبت وجوده ، ويذكر روايات أخرى تنفي هذا الوجود •

فهو يقول : " واخبرني حبيب بن نصر المهلبي واحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن ... الخرامي قال : حدثني أيوب بن عباية قال : سألت بني عامر بطنا بطنا عن مجنون بني عامر فما وجدت أحدا يعرفه "(١)

فاذا كان بنو عامر جميعا لا يعرفون المجنون ، ولا يسمعون له ذكرا فان هو ليس شخصا حقيقيا • ولكنه يورد خبرا آخر عن الاصمعي يقول : " ••• الاصمعي يقول : وقد سئل عنه ـ : لم يكن مجنونا ، ولكن كانت به لوثة ، كلوثة ... بني حية النميري • "(٢) ثم ينقل خبرا آخر عن الاصمعي يقول فيه : " ••• رجلان ما عرفا في الدنيا قط الا بالاسم : مجنون بني عامر ، وابن القرية ، وانما وضعهما الرواة • "(٣).

فهذان الخبران أحدهما يثبت وجود المجنون غير أن به لوثة ، والثاني يرى أنه لم يكن موجودا انما وضع اسمه الرواة •

كما يروي أبو الفرج رواية رابعة يقول صاحبها : " سعيت على بني عامر فرأيت المجنون ، وأتيته ... وأنشدني "(٤) وهكذا نجد الرواية الاخيرة هذه تثبت أن المجنون ... شخصا حقيقيا •

---

(١) ، (٢) الاغاني ، جـ ٢ ، دار الشعب ، تحقيق ابراهيم الابياري ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٤٢٠ •

(٣) ، (٤) المرجع نفسه ، ص ٤٢١

وبعد أن يورد أبو الفرج جملة من أخبار الشاعر يناقض بعضها بعضا ويقدم بين يديها قول الجاحظ : " وقال الجاحظ ما ترك الناس شعرا مجهول القائل قيل في ليلى الا نسبوه الى المجنون ، ولا شعرا هذه سبيله قيل في لبنى الا نسبوه لقيس بن ذريح " (١) يتخلى عن مسئوليته عن صحة ما يرويه من شعر على أساس انه ربما لا يكون صحيح النسبة اليه فيقول : " وأنا أذكر مما وقع الى من أخباره جملا مستحسنة متبرئا من العهدة فيها ، فان أكثر أشعاره المذكورة فى أخباره ينسبها بعض الرواة الى غيره ، وينسبها من حكيت عنه اليه ، واذا قدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعن ، ومتتبع للعيوب " (٢)

ولكنه يعود الى ذكر هواه وتعلقه بليلى وينقل تلك الرواية عن راويين ثقة هما أبو عمر والشيباني وأبو عبيدة ، فهي تكنى أم مالك، وتدعى ليلى بنت مهدى ، وقد بدأ هواهما وهما صبيين ، يرعيان مواشي أهلهما حتى كبرا فحجبت عنه ، ويستشهد ببيتين للمجنون هما :

تَعَلَّقْتُ ليلى وهي ذات ذؤابة ولم يبد للأتراب من ثديها حجمُ

صغيرين نرعى البَهْمَ ياليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البَهْمُ (٣)

ويقال انه لما اشتهر أمر عشقه اياها ، وتناقلت الناس أشعاره فيها رفضت أن تتزوجه ، وفضلت عليه غيره يقول صاحب الاغانى : " لما شهر اسم المجنون وليلى ، وتناشد الناس شعره فيها ، خطبها ، وبذل لها خمسين ناقة حمراء وخطبها ورد بن محمد العقيلي وبذل لها عشرا من الابل

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٢٦

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٢٩

(٣) انظر نفسه ، ص ٤٢٩

وراعيها ، فقال أهلها ، نحن مخيروها بينكما ، فمن اختارت تزوجته ودخلوا اليها فقالوا : والله لئن لم تختاري وردا لنمثلن بك . فقال المجنون :

ألا ياليل إن ملكت فينا	خيارك فانظري لمن الخيار
ولا تستبدلي مني دنيا	ولا برما إذا حب القتار
يهرول في الصغير إذا رآه	وتعجزه مليمات كبار
فمثل تأيم منه نكاح	ومثل تمول منه افتقار

فاختارت وردا فتزوجته على كره منها » (١)

وهكذا يبرز لنا السبب الذي من أجله لم يتزوج قيس من ليلى ، وهو قوله فيها الشعر الذي تناقلته الرواة والناس . ويظهر لنا أنها أكرهت على الزواج بغيره - أي أن رفضها اياه لم يك محض اختيار منها .

وقصة الوساطة التي أراد قيس أن يقوم بها عبد الرحمن بن عوف عامل الصدقات يوردها الاغاني ، ولكنه يرى أن الرجل أبى أن يقوم بها ، وأعطى بدلا منها لقيس بعض " القلائص " فرفض . لانه كان يريد وساطته في الزواج بليلى بعد أن أهدر السلطان دمه ولا يريد الجمال (٢).

وقد أصيب بالجنون - كما يقول ابو الفرج - بعد تلك الحادثة ، وأنه كان يرى منفردا في جنبات الحي عاريا الا من خرقة ، وأنه كان يهذي ، ويخطط في الارض ، ويلعب بالتراب والحجارة ولا يجيب أحدا عما يسأله ، فاذا ذكر اسم ليلى ثاب الى رشده ، وأصبح صحيحا يتحدث

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٣٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٣٤ ، ٤٣٥

وينشد أشعاره (١).

وقد كان المجنون ابن سيد الحي ، وقد رآه نوفل بن مساحق فاغتم لحاله وساءه مايرى من عريه وجنونه وسوء حاله فذهب يخطب ليلى له وينبغي أن نشير هنا الى أن اسم ليلى كان كفيلا باعادته الى الوضع الذي يكون عليه الاصحاء والعقلاء • وقد حدث هذا له في صحب الرجل ، ولكنهم رفضوا تزويجه وبخاصة وأن السلطان كان قد أهدر دمه (٢)

ويقال : " ان أبا المجنون وأمه ورجال من عشيرته اجتمعوا الى أبي ليلى فوعظوه ، وناشدوه الله والرحم ، وقالوا له : ان هذا الرجل لهالك وقبل ذلك ففي أقبح من الهلاك بذهاب عقله وانك فاجع به أباه وأهله فنشدناك الله والرحم أن تفعل ذلك ، فوالله ما هي أشرف منه ، ولا لك مثل مال أبيه ، وقد حكمك في المهر ، وان شئت أن يخلع نفسه اليك من ماله فعل ، فأبى وحلف بالله وبطلاق امها انه لا يزوجه اياها أبدا وقال : أفضح نفسي وعشيرتي ، وآتي ما لم يأته أحد من العرب ، واسم ابنتي بمتسم فضحه ، فانصرفوا عنه ، وخالفهم لوقته فزوجها رجلا من قومها وأدخلها اليه ، فما أمسى الا وقد بنى بها ، وبلغه الخبر فأيس منها حينئذ وزال عقله جملة • " (٣)

ويموت المجنون بعد حياة غريبة ، [illegible] الاغاني أن يجعل موته في حضور أبي المرأة التي رفض أن يزوجه اياها يقول : " لما مات مجنون بني عامر وجد [illegible] أرض خشنة بين [illegible] سود ، فحضر أهله

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢٥ [illegible]

(٢) انظر المرجع نفسه ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦

(٣) المرجع نفسه ، ص ٤٢٩

وحضر (معهم) أبو ليلى - المرأة التى كان يهواها - وهو متذمم من أهله ، فلما رآه ميتا بكى واسترجع وعلم أنه قد شرك فى هلاكه . فبينما هم يقلبونه اذ وجدوا خرقة فيها مكتوب :

ألا أيها الشيخ الذى ما بنا يرضى … شقيت ولا هنيت من عيشك الغضا
شقيت كما أشقيتنى وتركتنى … أهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا (١)

وأبو الفرج بعد اذ يحتاط ـه يجمع كل الروايات التى تصل اليه عنه ، ويركز أساسا على أن الشاعر الذى يتغزل فى امرأة لا يتزوجها وأنها عادة العرب ، ومن يخالفها يصيبه العار ، وتلحقه سوء السمعة وقد أنكر ذلك الدكتور طه حسين وأستاذنا الدكتور شوقى ضيف ، وأيدها الدكتور عبد القادر القط ، على أساس أن الشعر يشهد بذلك .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥١٠

أولا : نصوص الغزل العذرى

التوباد ـ لمجنون بنى عامر

مختلف فى نسبه ، اختلافا يصل الى انكار وجوده جملة ، كما اختلف فى جنونه فقيل : " لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة كلوثة أبى حية النميرى . "(١) وعلى أية حال تنسب اليه أشعار جيدة ، على مستوى عال من الشاعرية والحرارة والصدق ، كقوله التالى :

١ ـ وأحبسُ عنكِ النفسَ والنفسُ صبّةٌ   بذكراكِ والممشى إليكِ قريبُ

٢ ـ مخافةً أن تسعى الوشاةُ بظِنّةٍ   وأحرسكم أن يستريبَ مريبُ

٣ ـ فقد جعلت نفسى ـ وأنت اخترمته   وكنتِ أعزَّ الناسِ عنك تطيبُ

٤ ـ فلو شئتِ لم أغضبْ عليك ولم يزل   لك الدهرَ منى ما حييتُ نصيبُ

٥ ـ أما والذى يبلو السرائر كلها   ويعلم ما تبدى به وتغيبُ

٦ ـ لقد كنت ممن تصطفى النفسُ خُلّةً   لها دون خلان الصفاء حجوبُ (٢)

الشرح :

١ ـ أحبس : الحبس : المنع
صبة : الصبابة : الشوق أورقته ، أورقة الهوى ، وهى صبة : وهى مشتاقة .. الممشى : الطريق اليك قريب .

٢ ـ الظنة : التهمة والظنين : المتهم
يستريب : استراب به : رأى منه ما يريبه . (أى يظن به الظنون ويشك فيه ويتهمه) .

---

(١) الاغانى : ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٤٢٠ ، وانظر تفاصيل الحديث عنه المرجع نفسه ، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

(٢) المصدر نفسه .

٣ ـ اجترم : أذنب فهو مجرم .

٤ ـ السرائر : السريرة : ما يكتم وهي السر .

٦ ـ خلة : الخليلة . والصداقة المختصة لاخلل فيها تكون في عفاف وفي دعارة . والخلة : أيضا : الصديق . للذكر والانثى والواحد والجميع .
حجوب :
والخلة : الفقر .

ومن أشعار المجنون
قوله :

١ ـ شكوتُ الى سرب القطا إذ مررن بي فقلت ومثلي بالبكاء جديرُ
٢ ـ أسرب القطا هل مِنْ معيرٍ جناحهُ لعلي الى من قد هويت أطيرُ
٣ ـ فجاوبنني من فوق غصن أراكه ألا كلنا يا مستعيرُ مُعيرُ
٤ ـ وأي قطاة لم تعرك جناحها فعاشت بضر والجناح كسيرُ
٥ ـ والا فمن هذا يؤدي رسالة فأشكره إن المحب شكورُ
٦ ـ إلى اللّه أشكو صبوتي بعد كربتي ونيرانُ شوقي ما بهن فُتُورُ
٧ ـ فاني لقاسي القلب ان كنت صابرًا غداةَ غدٍ فيمن يسير تسيرُ
٨ ـ فإن لم أمت غمًّا وهمًّا وكربةً يعاودني بعد الزفير زفيرُ
٩ ـ إذا جلسوا في مجلس نذروا دمي فكيف تراها عند ذاك تحيرُ
١٠ ـ يدون دمي هز الرماح كأنها توقدُ جمر ثاقب وسعيرُ (١)

---

(١) ديوان مجنون ليلى ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار مصر للطباعة القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٢٧

الشـــرح :

٦ ــ صبوتـي : صبـا اليهـا : حـن • وأصبتـه المـرأة وتصبتـه : شاقتـه ودعتـه الى الصبا فحـن اليهـا • وتصباهـا وتصابـاها : خدعها وفتنهـا •

كريـتي : شدتـي •• فتـور : ضعـف

٩ ــ نـذروا دمـي : أوجبـوا قتلـي

يجير : أجـاره وأنقـذه وأعـاذه •

١٠ ــ الجمـر الثاقـب : الجمـر المتقـد

سعير : النـار ولهيبهـا

وقولـــه :

عند ما أطلـق ظبيـة من الشـرك بعد أن تأمـل محاسنها

١ ــ أيا شبـه ليلـى لا تراعـي فإننـي	لـك اليـوم من بيـن الوحوش صديـق
٢ ــ ويا شبـه ليلـى أقصـر الخطو إنني	بقربـك إنْ ساعفْتـنِي لخُليـــق
٣ ــ ويا شبـه ليلـى رُدَّ قلبي فإنـه	لـه خفقـان دائـم وبـــروق
٤ ــ ويا شبهها أذكـرت من ليس ناسيا	وأشعلـت نيرانا لهـــن حريـــق
٥ ــ ويا شبـه ليلـى لو تلبثـت ساعـة	لعـل فـؤادي من جـواه يفيـــق
٦ ــ ويا شبـه ليلـى لـن تزال بروضـة	عليـك سحـاب دائـم وبـــروق
٧ ــ فما أنا ــ إذا شبهتهـا ثم لم تؤب	سليما ــ عليهـا في الحيـاة شفيـــق
٨ ــ عتقـت فأدي شكر ليلـى بنعمـة	فأنـت لليلـى إنْ شكـرت طليــــق
٩ ــ فعينـاك عيناها وجيدك جيدها	سوى أن عظـم الساق منك دقيـــق
١٠ ــ وكاد تبلاد اللـه يا أم مالـــك	بما رحبـت منكم علـيّ تضيـــق

١١ ـ يذكرني للوصل أيامنا الأولى مررن علينا والزمان وريق

١٢ ـ أرد سواء الطرف عنك وماله على أحد الا عليك طريق

١٣ ـ عسى ان حججنا أن نرى أم مالك ويجمعنا بالنخلتين مضيق

١٤ ـ تشوق إليك النفس ثم أردها حياءً ومثلى بالحياء حقيق

١٥ ـ ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني وربِّ الهدايا المشعرات صديق

١٦ ـ سلى هل قلانى من عشير صحبته وهل ذم رحلى فى الرفاق رفيق (١)

الشرح :

١ ـ تراعى : تفزعى

٢ ـ ساعفتني : ساعدتني أو واتاه فى مصافاة وقد تكون ساعفة بمعنى داناه

٣ ـ يروق : قد تكون من الفزع والحيرة

٤ ـ أذكرت : أى ذكرت أى جعلته يتذكر

٥ ـ تلبث : أمكث أو توقف

جواه : الجوى : شدة الوجد ، والحزن ، والحرقة ، وتطاول المرض وهوى باطن ٠

٧ ـ تؤب : آب : رجع

١١ ـ والزمان وريق : أى مخصب ذو سعة

١٤ ـ مثلى بالحياء حقيق : أى جدير

١٦ ـ قلانى : أبغضنى

عشير : القريب والصديق والمعاشر ٠ وعشيرة الرجل : بنو أبيه الادنون أو قبيلته ٠

---

(١) مجنون ليلى (الديوان) ، ص٢٠٦ ، ٢٠٧

وقولـــه :

١ - ألا يا غرابـا صـاح من نحـو أرضهـا أفـق لا أفقـت الدهر من صيحـان
٢ - ولا كـان من ريب الحوادث آمنـا جناحـك إن أزمعـت للطيـران
٣ - ألا يا غـراب البيـن قد طـرت بالذي أحـاذره من واقـع الحدثـان
٤ - ألا يا غـراب البين لونـك شاحـب وصوتـك مشنـو بكـل مكـان
٥ - فلا زلـت مذعـور الفؤاد مروعـا إذا رمـت نهضـا واهـي الطيران
٦ - ويا عاذل الفتى اليـوم فى غير كنهـه فقـلا ملامـي لا تحيـن أقـران
٧ - فلا بد لحيـن إن شطت النـوى بليلـى المنى من واكف الهمـلان
٨ - ألا يا غـراب البيـن مالـك غـدوة بالتعـب والحجـلان
٩ - أمالـك نـاه لا عمرت تطيعـه ولا للنـوى عنـدى فتنهيـان (١)

الشــرح :

٢ - ريب الحوادث : صروفهـا ومصائبهـا
أزمـع : عـزم أو مضـى فـي الامـر ، وأزمعـت الامـر أو أزمعـت علـى الامـر ، أجمعـت أو ثبـت عليـه .

٣ - الحدثـان : حدثـان الامـر أولـه وابتـداؤه كحداثتـه . وحدثـان الدهـر : نوبـه وحوادثـه أى مصائبـه .

٥ - مذعور الفـؤاد : أصيـب فـؤاده بالذعـر أى الخـوف
مروعـا : مفزعـا - الـروع : الفـزع .

---

(١) المصـدر السـابق ، ص ٢٧

٦ ـ الكنه : جوهر الشيء وغايته وقدره ، ووجهه

لات حين أوان : وليس الحين حين أو وقت ملام

٧ ـ شطت النوى : النوى : الوجه الذي يذهب فيه من بعيد ، والتحول من مكان الى آخر . وشط : تشط وشط : بعد ، يقد بعد اذا بعد عنه حبيبه .

الهملان : هملت عينه تهمل هملا وهملانا . فاضت بالدمع .

٩ ـ نهاه : نهاه ينهاه نهيا : ضد أمره .

نصوص
الغزل الحضري
وتراجم الشعراء

عمر بن أبي ربيعة

شاعر قرشي ، ولد في سنة ٢٣ هـ ، ونشأته بالمدينة ، ولكنه وصل الى مكة بعاش بها الى أن مات (١) . تخصص في الغزل ، ولم يطرق فنا غيره من فنون الشعر الاخرى ، وكان واسع الثراء ، وليس في حاجة الى التكسب بشعره ، فصرف طاقته الشعرية الكبيرة نحو المرأة ، يصور جمالها وأنوثتها ودلالها ، وغزلها تصويرا جميلا ، وبسيطا في آن واحد وقد تأثر في بعض شعره بامرئ القيس ، الذى كان يفاخر بأنه يدخل على النساء خدورهن للظفر بهن مع علمه بخطورة ماهو مقدم عليه ولكن عمر - لم يكتف بالتأثر فقط - بل توسع في سرد قصص الحب ، متوسعا في القصة التي يوردها في قصائده التي تصور زياراته للمحبوبة مثلما فعل في قصيدته " نعم " التي سندرسها .

ويرى بروكلمان أن غزل عمر في أكثره صادر عن تجارب حقيقية ، وان كان القصص قد أضاف الى القصص التي تصور ذلك (٢) . وقد نبه بروكلمان الى موسيقى شعر عمر ، ومخالفة أوزانه لاوزان غيره من السابقين ، يقول : " ... ولم توافق بحور الشعر الكاملة عند شعراء البادية طابع فنه ، كما وافقته البحور الخفيفة الكثيرة الحركة ، مثل الخفيف والرمل . فهذه تعبير اغانيه ذلك النغم الايقاعي المقبول الذى جعلها تذيع وشيكا على أجنحة الغناء في جميع أنحاء العالم العربي " (٣) .

---

(١) كارل بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ج ١ ، الطبعة الثالثة ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر ، ص ١٢٩

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٨٩ - ١٩٠

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٩١

وقد ذهب أستاذنا الدكتور شوقي ضيف الى رأى قريب من ذلك الرأى ، فيقول : " وهو في غزله يخضع ملكاته لفن الغناء الذى عاصره ، اذ يستخدم الاوزان الخفيفة والمجزوءة ، حتى يحطها المغنون والمغنيات ما يريدون من ألحان وايقاعات ، كما يستخدم لغة سهلة فيها عذوبة وحلاوة ، حتى تفسح لهم روعة النغم "(١)

ويخالف الدكتور عبد القادر القط رأيه الدكتور شوقي ضيف ، فيما يذهب اليه من أن الغناء أثر على شعر عمر ، كما لا يقبل القول الذى ذهب اليه استاذنا من أن أغلب شعر عمر مجزوءات ، مستخدما في ذلك الاحصاءات ، ومبينا أن الغناء نفسه لم يكن يعتمد على المجزوء أو غير المجزوء ، وانما كان يعتمد على قيم صوتيه وفنيه تتجاوز ذلك (٢) وقد رأى النقاد القدماء المعاصرون لعمر أنه جعل نفسه مطلوبا من المرأة لا طالبا لها ، فهى تود و مشغوفة به ، تترصده لعله ينظر اليها ، أو يلتفت الى جمالها ، فقالوا : ان الحرائر لا يوصفن على صورة كتلك الصورة المتهالكة ، انما يوصفن بالعفة والتمنع ، والدلال وقالوا له كذلك : ما زدت على أن تغزلت بنفسك ، يقول صاحب الاغاني ان عمر لما أنشد الابيات التالية ابن أبي عتيق :

بينما ينعتنني أبصرنني	دون قيد الميل يعدو بي الأغرّ
قالت الكبرى أتعرفن الفتى	قالت الوسطى نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها	قد عرفناه وهل يخفى القمر

---

(١) دكتور شوقي ضيف : العصر الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٣٥٠

(٢) انظر الشعر الاسلامي والاموى ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥٣

" فقال ابن أبي عتيق : - وقد أنشدها - أنت لم تنسب بها وانما نسبت بنفسك ، كان ينبغي أن تقول : قلت لها ، فقالت لي : فوضعت خدي فوطئت عليه " (١) ولكن هذا لا ينفي أن لعمر شعرا كثيرا يخضع للتقليد العربي في هذا المجال ، يشكو فيه الشاعر الهوى والصدود ، وألم الفراق وغير ذلك (٢)

وتكتسب القصيدة الغزلية عند عمر وحدة وتماسكا ، وترابطا بين أجزائها ، بسبب القصة التي تتضمنها ، فالقصيدة تجربة واحدة تنمو وتتطور وتتعقد وتحل ، بصورة متكاملة . ومع أن هذه القصة كانت تصور زيارات للمرأة التي يهواها ، فانها تخلو تماما من أية اشارة مادية صريحة لما يدور بينهما ، كما كان يفعل امرؤ القيس مثلا . فقد كان عمر يتجنب كل ما من شأنه أن يكشف عن أمور مادية صريحة تجري في هذا اللقاء وأمثاله (٣).

وقد فطن القدماء الى أن عمر كان عفيفا ، أو على الاقل ليس ما يجري في شعره صورة لما يجري في واقع الحياة فقالوا : " لم يذهب على أحد من الرواة أن عمر كان عفيفا يصف ولا يقف ، ويحوم ولا يرد "(٤)

والحقيقة أن عمر وهو مسلم ارستقراطي في مجتمع متحضر بالقياس الى عصره ، ما كان يمكن أن يصور ما يدور بينه وبين المرأة بصورة فاضحة بما كان المجتمع نفسه ليسمح له بذلك ، وفي ظني أنه كان يكتسب

---

(١) الاغاني ، جـ ١ ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، الهيئة العامة للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٦ ص ١١٦

(٢) في الشعر الاسلامي والاموي ، مرجع سابق ، ص ١٩٥

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٨٦

(٤) الاغاني ، جـ ١ ، مرجع سابق ، ص ١١٩

قصة شعرية من ناحية ، ويصور بها المرأة من ناحية أخرى ، وأن معاصريه كانوا يعتبرونه شاعرا ، ويتسامحون معه فى ذلك ، وقد كان قرشيا ، ولو نظرنا الى موقف الفقهاء والمحدثين من عمر لوجدنا تسامحا شديدا منهم فى هذا المجال فابن عباس يستمع الى شعره فى المسجد الحرام ، وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج ، يسألونه ، فانصرف عنهم ، واستمع لقصيدة عمر المشهورة التى مطلعها :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر   غداة غد أم رائح فمهجر

وقد عاتبه نافع بن الازرق بقوله : " اللهم يا ابن عباس انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام ، فتتغافل عنا ، ويأتيك غلام مترف فينشدك ... الخ " (١)

ويروى الخبر نفسه بصيغة أخرى عن لقاء عمر لابن عباس فى المسجد الحرام ، فيقول له ابن عباس بعد أن أنشده مطلع رائيته المشهورة : " .. أنت شاعر يا ابن أخى ، فقل ما شئت . " (٢) فالشاعر يقول ما شاء لانه يقول ما لا يفعل ، ولا يؤاخذ على فعله ، وأن عوف بن عبد الله الزهرى : " ما زال شانقا ناقته حتى كتبت له " يقصد رائية عمر (٣) .

والقصة التى يوردها صاحب الاغانى عن سعيد بن المسيب ، والتى تدور وقائعها فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حول تفضيل شعر عمر على شعر عبيد الله بن قيس الرقيات ، تدل دلالة واضحة على أن الناس لم يكونوا ينظرون للشعر الا على أنه نوع من التسلية (٤)

---

(١) الاغانى ، مرجع سابق ، ص ٧٢ ، ٧٣
(٢) ، (٣) المصدر نفسه ، ص ٨١
(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٣ ، ١١٤

وما يدل على أن قصص عمر العراميه في وما حوله من قصص هو ضرب من تفسير ذلك الشعر واحداث ضرب من المفارقه والفكاهة أن عمر سريع الوقوع في الحب ، وسريع الوصول الى المرأة التي يهواها يقول صاحب الاغاني " .. وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعه في امرأة من ولد الاشعث بن قيس ، حجت فهويها وراسلها ، فواصلته ، ودخل اليها وتحدث معها ، وخطبها ، فقالت أما ههنا فلا سبيل الى ذلك ولكن ان قدمت الى بلدي خاطبا تزوجتك ، فلم يفعل ".(١) ويذكر كتاب الاغاني قصة له مع كلثم بنت سعد المخزومية ، وهي قصة خيالية أيضا (٢)

كما أن عمر – حسبما تروي القصص – يشبب بلبابه بنت عبد الله بن عباس ، وامرأة الوليد بن عتبه بن أبي سفيان وتصوير القصيدة التالية تلك القصة الخيالية له معها :

ودع لُبَابَةَ قبل أن ترحّلا	واسأل فإن قلالةً أن تسألا
البث لعمرك ساعة وكأنّها	فلعلّ ما بخلت به أن يبذلا
قال ائتمر ما شئت غير مخالفٍ	فيما هويت فإننا لن نعجلا
لسنا نبالي حين تقضي حاجة	ما بات أو ظلّ المطيّ مُعقّلاً
حتى إذا ما الليل جنّ ظلامه	ورقبت غفلة كاشحٍ أن يَحْصُلا
خرجت تأطّرُ في الثياب كأنها	أيمٌ يسيب على كثيبٍ أهيلا
رحّبتُ حين رأيتها متبسماً	تحييم لما أتتني مقبلا

---

(١) الاغاني ج ١ ص ... أكبر مما مبكمه مع بياد ... العبد ... ص ٨٠ ، ٩ [illegible]

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٤

وجلا القناع سحابة مشهورة غراءُ تعشى الطرف أن يتأملا
فلبثت أرقبها بما لو عاقل يُرْقَى به ما استطاع ألا ينزل (١)

ومن الامور الغريبة التي يرويها كتاب الاغاني لقاء عمر للمرأة - لا وهما في خلوة فحسب - بل وهي مع جماعة من صاحباتها ، بل ومجالسته الجماعات منهن ، وكأن أولئك النساء لا قيم لهن ، ولا يخشين في مجتمع له تقاليده وهاك مثلا على ذلك : " .. اجتمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه ، فتشوقن اليه وتمنينه . فقالت سكينة : أنا لكن به ، فبعثت اليه رسولا أن يوافي الصورين ليلة سمتها ، فوافاهن على رواحله ، فحدثهن حتى طلع الفجر وحان انصرافهن . فقال لهن : والله اني لمحتاج الى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده ، ولكني لا أخلط بزيارتكن شيئا ثم انصرف الى مكة " (٢)

ومن أمثلة هذه الاخبار لقاؤه لنساء من قريش بالعقيق فيقول :
" .. واعد عمر بن أبي ربيعة نسوة من قريش الى العقيق ليتحدثن معه ، فخرج اليهن ومعه الغريض ، فتحدثوا مليا ومطروا ، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظلوا عليهم بمطرفة وبرديين له حتى استترن من المطر الى أن سكن ، ثم انصرفن " (٣)

وفي رأيي أن هذا الخبر وأمثاله انما يفسر أبياتا للشاعر كالشعر

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٥
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ ، ١٥١

الذى يرد بعد هذا الخبر مباشرة (١) وانظر الخبر الذى احتالت جماعة من النساء فيه عليه لكى يزورهن مدعيات أنهن لا يعرفنه ، ظلما جاء متخفيا فى زى بدوى حادثنه ثم كشفن أمره ، وطبيعة الفكاهة ظاهرة فى هذا الخبر أيضا (٢)

وانما قصدت بذكرى هذه الاخبار وأمثالها أن أقول أن هذه القصص ضرب من النوادر والطرائف ، وقد سيقت على هذا الاساس أو لانها تفسر بعض ما ورد بشعره . وما كان المجتمع ليسمح بهذا ، وهو مجتمع لا يختلط فيه الرجال بالنساء بالشكل الذى تصوره تلك القصص بما فيها من عدوان على أعراض الناس ودخول لبيوتهن بهذه الطريقة السهلة الغريبة . وقد كان القدماء - كما سبق أن قلنا - يرون أن عمر بن أبى ربيعة شاعر يقول ما لا يفعل ، أو بعبارة أخرى يرونه شاعرا عفيفا ومن ثم رأينا من يصفه بالعفة فى أكثر من موضع ، فضلا من أسباب تفوق عمر كشاعر عفته فى المقال . يقول أبو الفرج : " مخاطبة النساء وعفة المقال " (٣) ويقول أيضا : " ومن عفة مقاله قوله : " ثم يورد أبياتا للتدليل على ذلك (٤) ، وقد ذكر أبو الفرج أن عمر بن أبى ربيعة قد عارض شعرا لجميل (٥) ، وهو ما يدل على أنه كان ينظم غزلا كغزل العذريين . ولو قرأنا القصيدة التى عارض بها " جميل " بن معمر لتبين لنا صدق ما نقول من أن الحدود بين الغزل عند من يسمون العذريين والماديين (أو الحضريين فى تسمية أخرى) وشعراء المديح

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٥١ وانظر الخبر الذى يذكر عنه وطبيعته الهزلية فى المصدر نفسه ، ص ١١٩ ، ١٢٠

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ١٧٥ ، ١٧٦

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٥

(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٤ ، ١١٥

كجرير والفرزدق والاخطل ، وشعراء آخرين لم يدخلوا تيار الغزل العذرى أو المادى ، وسنورد لهم بعض النماذج ، لم تكن تلك الحدود حاسمة فالتداخل بين هذا الغزل وارد .

وقد أشار الدكتور عبد القادر القط ، الى ذلك الجانب من غزل عمر ، وبين كيف أنه وكان عاشقا كغيره بين الشعراء يبادل من يهوى حبا بحب ، وأنهم لفراقهن يحوجهن مبادلا اياها عاطفة بمثلها (١) .

ويرى البعض تصوير عواطف المرأة المعاصرة له ، وما يدور بخاطرها وما يجرى بينهما لون من حياتهما من حديث أو من غيره ، أو غيرها من المشاعر الانثوى . ولكن الباحثين مازال كثير منهم يرى أن صورة المرأة فى شعر عمر ، وكما احتفل بها كتاب الاغانى ، لا تمثل المرأة المعاصرة لعمر ، وانما هى صورة رسمها خيال عمر ، ولعلها رد فعل لظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية (٢) فى حين يرى فريق آخر أن شعره يصور بيئته تصويرا طبيعيا ، كما يصور المرأة التى عاشت فى تلك البيئة تصويرا صادقا (٣) .

ويرد بعض القدماء تفوق عمر بن أبى ربيعة على غيره من شعراء الغزل الى أمور كثيرة استحدثها ، نقتطف منها بعض ما ذكره صاحب الاغانى فى هذا الشأن كقوله : " أسير النوم ، وغم الطير ، وأغذ السير ، وحير ماء الشباب ، وسهل وقول عوقياس الهوى فأربى ، وعصى

(١) د . عبد القادر القط ، فى الشعر الاسلامى والاموى ، ص

(٢) المرجع نفسه ، ص وانظر ايضا :

واخلى ، وحالف بصمه وطرفه ... (١)

وعلى أية حال فعمر شاعر كبير عرف له معاصروه قدره كشاعر ، كما عرف له المعاصرون مكانته من شعر الغزل ، وان كان موقفه الاخلاقى ما زال مختلفا عليه ، فهناك من يقول انه شاعر ، وأنه يقول ما لا يفعل ، وأنه كان عفيفا . وهناك من يقولون غير ذلك ، ويتهمونه فى خلقه وسلكه .

غير أننا نلاحظ أن القصة الشعرية التى تتضمن زيارة الشاعر لمعشوقته زيارة آثمة بنص قول الشاعر نفسه ، لم يكن أحد يأبه بها ، كانت موجودة فى العصر الجاهلى ، ووجدت فى العصر الاموى متمثلة فى عمر وجماعته (الاحوص والعرجى) ولكن الغريب أن زيارة مثل زيارة هذه الجماعة قد صورها الفرزدق فى شعره فكاد يقام عليه الحد ، وطرد من المدينة بعد ثلاثة أيام ، يقول الفرزدق فى هذه القصيدة :

هما دلتانى من ثمانين قامة ... كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا ... أحىٌّ يرجىَّ أم قتيل نحاذره

فقلت : ارفعا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلت فى أعقاب ليل أبادره

أبادر بوابين لم يشعروا بنا ... وأحمر من ساج تلوح مسامره

" فقال له مروان : أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اخرج عن المدينة ، فذلك قول جرير :

تدليت تزنى من ثمانين قامة ... وقصرت عن باع الندى والمكارم

.. " (٢)

---

(١) الاغانى ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١٢٠

(٢) المرجع السابق ، ج ٢١ ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢

ونقول ان حياة الفرزدق قد دخلها كثير من القصص ونكتفي بقصته مع الفتيات اللاتي كن يستحممن في الغدير ، وكيف فعل معهن كما فعل امرؤ القيس مع عنيزة ابنة عمه وصويحباتها حيث أخذ ثيابهن وطلب الى كل واحدة أن تخرج من الماء ليراها مقبلة ومدبرة ثم يدفع لها ثيابها ولكن النساء خدعن الفرزدق وهربن منه (١)

وتحتل علاقة الفرزدق بالمرأة قسما طويلا من ترجمته ،

وان كان عمر بن ابي ربيعة يظفر بنصيب الاسد في هذا الجانب كذلك ، وانما ذكرت الفرزدق لابين أن قصص الزيارة في الشعر وجدت حتى عند من لم يتخصصوا في هذا الضرب من الغزل وحده . أو ممن اشتهروا بغيره ، فالفرزدق معروف أن جريرا أفضل منه نسيبا (٢) ومن الامور اللافتة للنظر أن عمر كان يتغزل بالنساء الحاجات حتى من قريش ولكن أحدا لم يحاول سجنه ويكذب الباحثون صحة ما يروى في ذلك من تلك الاخبار (٣) ولكن الفرزدق يطرد من المدينة ، ويدخل العرجي السجن ليموت فيه لانه تغزل بامرأة لها ولد شاب مما جعل غزله هذا نوعا من القذف أو تحقير الابن نفسه .

بقيت بعد هذا تحقيق قضية هامة سبق أن أشرنا اليها بايجاز هل هناك حدود فاصلة بين الغزل عند جرير ومدرسته (جرير والفرزدق والاخطل) ، وعند مدرسة الشعر الحضري ، ومدرسة الشعر العذري ، وهل كان الغزل يقتصر على هؤلاء المشهورين فقط ؟

---

(١) انظر الحبر بالتفصيل ، المصدر السابق ، ص ٢٤٠ – ٣٤٣

(٢) انظر

(٣) انظر

أما عن الاجابة عن السؤال الاول فقول ان جريرا لديه الكثير من القصائد التي تشبه الغزل العذري ، وان كانت تغلب عليها التقليدية فهو يتحدث عن البرق في قوله :

أو تبصران سنا برق أضاء لنا	رمل السمينة ذا الانقاء والدور (١)

ومن المعاني التي يطرقها كذلك الدعاء للديار بالسقيا :

قل للديار سقى أطلالك المطر	قد هِجْتِ شوقا فماذا يرجع الذِّكَرُ (٢)
أسقيت محتفلا يَمْتَنُّ وابلُه	أو هاطلا مُرْثَعِنّاً صَوْبُهُ دِرَرُ

ومن تلك المعاني التقليدية حديثه عن رحيل الظعائن وأثر ذلك في نفسه كقوله :

ان الفؤاد دفع الظعن التي بكرت	من ذي طلوحٍ وحالت دونها البُصَرُ (٣)

أو قوله :

قد كنت في أثر الاظعان ذا طرب	مُرَوَّعاً من خدار البين مَحْزَانا (٤)

ويكثر حديثه عن الشيب في هذا الغزل وأثر ذلك على موقف المرأة منه كقوله :

وقد أقصرت عن طلب الغواني	وقد آذَنَّ حبلي بانصرام
اذا حدثتهن هَزِئْنَ مني	ولا يغشين رحلي في المنام (٥)

---

(١) ديوان جرير ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص ١٤٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٠

(٣) انظر ذلك الوصف بالتفصيل في المصدر نفسه ص ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ ، وانظر ايضا حديثه عن الشيب والعذال المصدر نفسه ص ٢٤٠

وهو على الطريقة القديمة يذكر الغراب رمز الشؤم والخراب فيقول :

نعب الغراب فقلت بين عاجل … ما شئت اذ ظعنوا البين فانْعَبِ (١)

والمرأة عنده تعد متخلف ولا يصدق وعدها أبدا ، يقول :

إنّ الغواني قد قطعن مودتي … بعد الهوى ، ومنعن صفو المشرب (٢)

ومن غزله الذي يذكر فيه أحبته وحزنه لرحيلهن ، وأثر ذلك في نفسه وأثر الشيب في نفسه ، وفي نفس المرأة :

أَرَبَّتْ بعينيك الدموع السوافح … فلا العهد مَنسِيٌّ ولا الربع بَارِحُ

محا طَلَلاً بين المنيفة والنقا … صَبًا راحةٌ أو ذو حَبِيَّين رَائحُ

بها كُلُّ ذَيَّال الأصيل كأنه … بدارة رَهْبَى ذو سُوارين رامحُ

ألا تذكر الأزمان إذ تتبع الصبا … وإذ أنت صَبٌّ والهوى بك جَامحُ

وإذ أَعْيُنٌ مرضى لهن رَمِيَّةٌ … فقد أقصَدَتْ تلك القلوب الصّحائحُ

مَنَعْتَ شفاء النفس ممن تركته … به كالجوى مما تُجِنُّ الجوانحُ

تركت بنا لوحًا ولو شئت جادنا … بُعَيْدَ الكرى ثلجٌ بكِرْمَانَ ناصحُ

رأيتك مثل البرق تحسب أنه … قريب وأدنى ضوئه منك نَازِحُ

إذا حدثت لم تلف مكنون سرها … لمن قال اني بالوديعة بائحُ

فتلك التي ليست بذات ندامة … ولم تعرها من منصب الحيّ قادحُ

تَعَجَّبُ أن ناصاني الشيب ارعوى … الى الرأس حتى ابيضّ مني المسائحُ (٣)

---

(١) ، (٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٦

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦

ومن غزله العفيف الرقيق قوله

متى كانَ الخيام بذى طلوحٍ	سُقيتِ الغَيْثَ أيتها الخيامُ
تنكّر من معارفها ومالت	دعائمها وقدَ بلىَ الثُّمَامُ
تَغَالىَ فوق أجرعِكِ الخُزَامىَ	بنَوْرٍ ، وأَستَهلَّ بك الغمَامُ
مقام الحىّ مَرّ له ثمَانِ	إلى عشرين قد بَلىَ المقُامُ
أقول لصاحبى لما ارتحلنا	ودمع العين منهمر سجامُ
أتمضون الرسوم ولا تُحَيَّى	كلامكم علىّ إذن حَرَامُ
أقيموا انما يوم كيومٍ	ولكن الرفيق له ذِمَامُ

ومن الغزل الذى نجده ليس ماديا على اطلاقه وانما يجمع بين الناحية المادية ، ونقصد بالمادية الجمال الجسدى ، وبين العاطفة التى يكنها العاشق لمعشوقته قول اسماعيل بن يسار النسائى في الغزل* وهو لشاعر لا يعرف بالغزل :

١ - ما على رسم منزل بالجناب	لو أبان الغداة رجع الجوابِ
٢ - غيرته الصبا وكل مُلِثٍّ	دائم الودق مكفهر السحابِ
٣ - دار هند ، وهل زمانى بهند	عائدٌ بالهوى ، وصفو الجنابِ
٤ - كالذى كان والصفاءُ مصون	لم تشبه بهجرة واجتنابِ
٥ - ذاك منها ، إذ أنتَ كالغُصْن غَضٌّ	وهى رود كدميةِ المحرابِ

---

* كان مولى بنى تيم بن مرة تيم قريش ، وكان منقطعا لآل الزبير وسمى النسائى لان أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه ، أو لانه كان يبيع النجد والفرش التى تتخذ للعرائس

٦ - غـادة ... تسبى العقـول بعـد ... طيّب الطعم بـارد الانيـاب

٧ - وأثيث من فوق لـون نقـى ... كبياض اللُّجين فـى الزريـاب

٨ - فأقـلّ فيهـا المَـلام وأقصـر ... لـجّ قلبى من لوعـة واكتئـاب

٩ - صـاح أبصَرْت أو سمعـت بـراع ... رَدَّ فـى الضَّرْع ما قـرى فى العِلاب

١٠ - انقضـت شِرَّتـى وأقصـر جَهْلـى ... واستراحـت عواذلـى مـن عتابى

الشـــرح :

(١) رسـم المـنزل : الاثـر أو بقيتـه ، أو مالا شخـص لـه من الاثـار . الجنـاب : مكـان ، رجـع الجـواب : رد الجـواب أو جـواب الرسـالة . وهو ... أسلوبـه هـذا يقلـد الشعـراء الجاهليـين .

(٢) الـودق : المطـر : الطـث : الملـح فـى الهطـول ، والاقامـة ، والاستمرار مكفهـر السحـاب : السحـاب الغليـظ الاسـود ، وكل متراكـب .

(٣) الصفـو : نقيـض الكـدر . وصفـو الـود : خالـص الحب

(٤) تشبـه : تخلطـه . شـاب الشـى ء خلطـه

(٥) ذاك الصفـاء : يقصـد صفـاء المـودة . وصفـو الـود : خالص الحـب
أنت كالغصـن : أى وأنـت شـاب طـرى كالغصـن لـم تصبـح شيخـا بعـد .
رود : لينـة . المحـراب : الغرفـة . وصـورة البيـ... أو ... محاريب بـني اسرائيـل : أى مساجدهـم الـتى كانـوا جلسـون فيهـا .
الدميـة : التمثـال ، ربمـا كانت توجد فى معابـد النصـارى عندئـذ .

(٦) الغـادة : المـرأة الناعمـة اللينـة البينـة الغيـد . تسـبى العقـــول : تأسـر العقـول والمقصـود تسحرهـا بجمالهـا .

(٧) الزرياب : الذهب أو ماؤه . أثيث : يقصد شعرها الغزير ، من أث النبات كثر والتف .

(٨) أقصر : كف . اللوعة : حرقة القلب .. لج : ألح .
الاكتئاب والكآبة : الغم وسوء الحال ، والانكسار من الحزن .

(٩) العلاب : العلبة : قدح ضخم من جلود الابل ، أو من الخشب يحلب فيها . والجمع علاب ، وعلب .
قرى : قرى الماء في الحوض يقريه قريا وقرى : جمعه
ياصاح : يا صاحبي

(١٠) الشرة : شرة الشباب نشاطه

ويرد الدكتور احمد الحوفي ، مخالفا في ذلك رأي طه حسين والمستشرق " جب " اللذين يريان أن الغزل العذري والحضري لم يوجد على تلك الصورة الا في عصر بني أميه ، مما يعني أنه لم يوجد في العصر الجاهلي ، الا في مقدمات القصائد ، فيورد عددا من المقطوعات من الشعر الجاهلي التي لا تخالف الغزل العذري في شيء . فيذكر غزلا للنابغة يمثل به لذلك ، وهو قوله :

وقد أراني ونعما لا بثين معا ... والدهر والعيش لم يهمم بإمرار

أيام تخبرني نعما وأخبرها ... ما أكتم الناس من باد وأسرار

لولا حبائل من نعم علقت بها ... لاقصر القلب عنها أي اقصار

فان أفاق فقد طالت عمايته ... والمرء يخلق طورا بعد أطوار

نبئت نعما على الهجران عاتبة ... سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

رأيت نعما وأصحابي على عجل ... والعيس للبين قد شدت بأكوار

فريع قلبي وكانت نظرة عرضت ... حينا وتوفيق أقدار لأقدار (١)

كما يذكر نموذجا لعنترة (٢) ونموذجا لعروة بن حزام صاحب عفراء يقول فيه :

واني لتعروني لذكراك روعة ... لها بين جلدي والعظام دبيب

فما هو إلا أن أراها فجاءة ... فأبهت حتى ما أكاد أجيب

وأصدف عن رأيي الذي كنت أرتئي ... وأنسى الذي أزمعت حين تغيب

---

(١) انظر د . احمد الحوفي - الغزل في العصر الجاهلي ، طبعة ٣ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر . القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ١٩٠ - ١٩١

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٩١ - ١٩٢

ويظهر قلبي عذرها ويعينها ... عليَّ فمالي في الفؤاد نصيب

وقد علمت نفسي مكان شفائها ... قريبًا ، وهل مالا ينال قريب ؟

بنا من جوى الاحزان والبعد لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب

وما عجبي موت المحبين في الهوى ... ولكن بقاء العاشقين عجيب

حلفت برب الساجدين لربهم ... خشوعا وفوق الساجدين رقيب

لئن كان برد الماء حرّان صاديا ... إليَّ حبيبا إنها لحبيب (١)

وقد يكون الفارق الوحيد بين غزل العذريين ، وبين غزل عمر في قسمة المسمى بالحضري ، أن عمر تجيبه محبوبته الى ما يبتغي منها من لذة جسدية ، متى وجدت الفرصة الملائمة ، كالخلوة وغفلة الاحراس أو ما شابه ذلك . اذ العذريون لا يصفون المرأة بتلك الصفة التي تحط من شأنها .

ويورد مقولات أخرى منها التالية لعروة بن حزام :

على كبدي من حبّ عفراء قرحة ... وعيناي من وجد بها تكفان

فعفراء أرجى الناس عندي مودة ... وعفراء عني المعرض المتداني

فياليت كل اثنين بينهما هوى ... من الناس والانعام يلتقيان

فيقضي حبيب من حبيب لبانة ... ويرعاهما ربي فلا يريان

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى ... وإني وإياها لمختلفان

يقول لي الأصحاب إذ يعذلونني ... أشوق عراقي وأنت يماني ؟

تحملت من عفراء من ليس لي به ... ولا للجبال الراسيات يدان

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٢

كأن قطاة علقت بجناحها | على كبدى من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه | وعراف نجد إن هما شفيانى
فقالا نعم تشفى من الداء كله | وقاما مع العواد يبتدران
فما تركا من رقية يعلمانها | ولا سلوة الا وقد سقيانى
وما شفيا الداء الذى بى كله | ولا ذخرا نصحا ولا ألوانى
فقالا شفاك الله والله مابنا | بما ضُمِّنَتْ منك الضلوع يدان (١)

ويمضى الدكتور الحوفى فى بيان رأيه وفى تمثيله لهذا النوع من الغزل الذى يتشابه والغزل العذرى فى الاسلام (٢).

واذا كان الدكتور طه حسين قد رد الغزل العذرى الى ظروف البيئة وأثر الاسلام ، وكذلك رأى " جب " أن هذا الغزل ابن العصر الاموى فان الباحث يرى فى وجود مثل هذا الغزل ، ما ينقض هذه القاعدة لانه من غير المعقول أن تكون نظرة العرب الى المرأة نظرة مادية فحسب وأنها لم تكن الا متاعا لا يبادلها الرجل مشاعر يمثلها . وربما كان فى شعر بعض الشعراء ، كالنابغة والاعشى ، وامرىء القيس وطرفة من لهو مع نساء — وربما كن — أى النساء — من الرقيق — هو الذى أثار هذه المسألة . فقد ظهر الاسلام فرأينا المرأة فى الاسلام معززة مكرمة وما كان يفصلها عن العصر الجاهلى زمن طويل ، بل ومما ينقض هذه القاعدة أن شعراء الغزل العذرى ، وعلى رأسهم عمر لم يكن شعرهم كله فى المرأة ماديا ، بل لديهم أشعار تختلف عن أشعار العذريين فى شئ وسوف نجد غزليين آخرين ينظمون الشعر على طريقتى العذريين ، وعمر ومدرسته.

---

(١) المرجع السابق . ص ١٩٤ - ١٩٥
(٢) انظر المرجع السابق . ص ١٩٥ — ٢١٣

في الغـزل لعمـر بن أبـي ربيعـه

" نعـــم "

تصور القصيدة التي اخترنا منها الابيات التالية موضوع الدراسة قصة غرامية - ان صح هذا التعبير - بطلها الشاعر ومحبوبته ، وهو في القصة يفاجئها بزيارة مفاجئة ثم يحاورها حوارا يكشف عن عواطفها نحوه ، وتنتهي القصة بمغادرته لها عند شروق الشمس. وفيها يتحدث عن عواطفه نحو المرأة التي أحبها ، ومشاعرها نحوه كما قلنا - ويقدم لنا صورته من خلال رؤيتها له. وقد قيل له انك انما تشبب بنفسك فما هكذا تصور العاشقة ، بل ينبغي أن يذل العاشق ويخضع ، وتصد المعشوقة وتمنع.

القصيـــدة

١ - أمن آل نعم أنت غاد فمبكر	غداة غد ، أم رائح فمهجر
٢ - لحاجة نفس لم تقل في جوابها	فتبلغ عذرا والمقالة تعذر
٣ - تهيم الى نعم فلا الشمل جامع	ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر
٤ - ولا قرب نعم ان دنت لك نافع	ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر
٥ - وأخرى أتت من دون نعم ومثلها	نهى ذو النهى لو ترعوي أو تفكر
٦ - اذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة	لها ، كلما لاقيته يتنمر
٧ - عزيز عليه أن ألم ببيتها	يسر لي الشحناء والبغض مظهر
٨ - ألكني اليها بالسلام فانه	يشهر المامي بها وينكر
٩ - بآية ما قالت غداة لقيتها	بمدفع أكنان أهذا المشهر؟

الفريص • ينتجم : يظهـر
لم يمنعني ما أريـد ، بل تركتني أنطلق إليهن ، كما انطلق الحصان
رأى كرام الخيل أنه يظهـر •

٨ ـ عين : جاسوس • الندم : الاسف
وكن يجلسن في مجلس خال من الناس ، وليس هناك جاسوس أخشاه
ولست آسفا على شيء •

٩ ـ الحاج : جمع حاجة
مكتتم : أي يخفي سره عن الناس ، أو يخفي حاجته عن الناس حتى
يتمكن من قضاء حاجته ، وهو من الحديث الشريف : (استعينوا
على قضاء حوائجكم بالكتمان) •
حتى بلغت الدار التي فيها النساء فجلست عند الباب مخفيا حاجتي
وصاحب الحاجات أو الحاج لابد أن يخفي سره عن غيره حتى يحقق
النجاح فيما يرجوه •

١٠ ـ لما رأتني كلابه في الظلام قالت من هذا ؟ فقلت لها أنا الذي
زعموا انك عدو له •

١١ ـ جدي : الجد : الاجتهاد في الامر • وضد الهزل
أحرضني : أفسدني ، والحرض : الفساد في البدن وفي المذهب
وفي العقل • شفني : هزلني • والحارض : المضنى مرضا وسقما ،
والمشرف على الهلاك • بلي : صار باليا
انني امرؤ أحببت حبا عنيفا فأسقمني الحب وأهزلني ، وأصبحت
كالثوب البالي الخلق ، أو المريض الذي سبب له مرضه الهزال ،
وإن كان المرض من الحب •

١٢ ـ تكليني : تتركيني
لا تتركيني أو بعبارة أخرى لا تتركي أمر هوانا بيد قوم يبغضوننا
الى الحد الذى لو أنه قدم لحمنا لهم طعاما لاكلوه .

١٣ ـ أنعمي نعمة : يقصد أنعمي بالوصال
مسني النعم من أهلك : طالما أنعم على أهلك بالعطاء ، ولعله
يقصد التلويح بأمر آخر .
يقول لها أنعمي بالوصال ، فطالما كان أهلك كرماء منعمين وان كان
جودهم بالمال ، فليكن جودك بالوصال .

١٤ ـ الستر للمحبين في الدنيا وحكمة ذلك ، أنهم ان تابوا بعد اثم
في الهوى يتمكنون من التوبة ، لان فضيحتهم قد تحول دون توبتهم .

١٥ ـ يعيني : رهن بالوفاء : كناية عن المعاهدة على الوفاء بالعهد .
الكاشح : العدو
لانف الكاشح الرغم . حتى ولو كره الكاشح ذلك وأباه ، فأنفه
في الرغام : أى التراب .

١٦ ـ تلبثت : بقيت ، أو انتظرت

١٧ ـ أكواس : جمع كأس .
أعل : العل ، والعلل : الشربة الثانية . أو الشرب بعد الشرب تباعا
البارد : الريق . النسم : الرائحة

١٨ ـ ساطع : سطع الغبار : ارتفع ، وكذا البرق والشعاع ، والصبح
والرائحة . سنا : ضوء
يضطرم : يشتعل

١٩ـ كثيرة الفرس المنسوب قد حسرت — عنه الجلال تلالا وهو يلتحم

٢٠ ـ أودعتهن ولا شئ يراجعني — الا البنان ، والا الاعين السجم

٢١ ـ اذا أردن كلامي عنده اعترضت — من دونه عبرات فانثنى الكلم

٢٢ ـ تكاد اذ زمن نهضا للقيام معي — أعجازهن أعالى الانهيار تنقصم (١)

الشـــرح :

١ ـ حور : جمع أحور وحوراء ، والحور : أن يشتد بياض العين ، وسوادها وتستدير حدقتها ، وترق جفونها ويبيض ما حواليها .

في ملاطفة : في رفق . ثقفا : ثقف ثقافة : صار حاذقا فطنا فهو ثقيف . النسأة : الكثير التأخير والتأجيل لما يطلب منه عمله .

الوهم : الكثير الوهم ؛ والوهم بخلاف الحقيقة . تقول توهمته ذهبا فاذا به كلب مثلا .

فتيات جميلات العيون أرسلن الى رسولا يطلب الى أن أزورهن ، ويلقى الى ذلك في رفق ، وهو رسول حاذق ماهر ، لايقنع فيما يقع فيه غيره ، من تأخير تحقيق ما يطلب منه ، ولا يتوهم شيئا لا وجود له .

٢ ـ هدء : هدأ الليل ، وهدأته ، ومهدئه : أى حين يهدأ الليل والرجل . غفلت : غفل عنه غفولا : تركه وسها عنه .

الاحراس : حارس وحرس وأحراس وحراس : وهو من يكلف بحراسة شيء وحمايته . افتضح : فضحه : كشف مساويه فافتضح والاسم الفضيحة .

---

(١) الاغاني ، ج ١ ، مرجع سابق ، وقيل أن هذه القصيدة والقصة لابي حراب العقيلي انظر : المرجع نفسه ، ص ٣٩١

أرسلن رسولا الي أن تعال الينا زائرليلا اذا هدأ ؟الليل ، وسها الحراس عن حراستنا ، يقصد الرقباء من الاهل ، لانهم لو علموا بالزيارة لافتضح أمرنا •

٣ ـ الهول : المخافة من الامر لا يدري ما هجم عليه منه •

تجشم : جشم الامر : تكلفه على مشقة •

فجئت عليها دعوتهن ، أمشي خائفا ، وقد كلفت نفسي أمرا خطرا لا أدري ما نتيجته وأن تحمل المرء المشقات في سبيل هواه دليل على كرمه •

٤ ـ اذا تخوفت من شيء أقول للرسول الذي دعاني ، امض فكل ماقدر الرحمن مفعول ، جفت الاقلام وطويت الصحف •

٥ ـ طله : الطل : المطر الضعيف أو أخف المطر وأضعفه أو الندى أو فوقه دون المطر •

الديم : جمع ديمة وهي السحابة •

رطبا : غير جاف • البان : شجر لين أغصانه مستقيمة

امشي في رشاقة وهدوء كما يتحرك غصن من البان رطب أمطرته السماء

٦ ـ الحلة : ازار ورداء : برد أو غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانة •

السوس : بلد بالمغرب • تغفو : والمحو والامحاء

مشربة : أشرب الثوب العرق : نشفه ، واستشرب لونه : اشتد

يرتدي حلة من طراز يصنع في سوس تزيل بهدادها أثر أقدامنا •

٧ ـ خلت سبيلي : لا تقف في طريقي.

عذر : ذا غدر : حصان ، والعذار من اللجام : ما سال على خد

كما أن بعض تعبيرات من لغة عمر قد سقطت في شعره ، وعلى سبيل المثال ، قول العرجي :

فجئت أمشي على هول أجشمه   تجشم المرء هولا في الهوى كرم

وهو مأخوذ من قول عمر :

وقد تجشم الهول المحب المغرر

ووصف العرجي لملابسه الثمينة التي تعبر عن سمو طبقته وشرفه تقليد لعمر اذ يقول :

قليل على ظهر المطية ظله   سوى ما نفى عنه الرداء المجدد

ويقول العرجي في هذا :

في حلة من طراز السوس مشربة   تعفو بهدابها ما أثرت قدم

وهذا مجرد تمثيل ، لا يدل على أن العرجي كان مجرد مقلد لعمر ومن الانصاف القول انه كان أكثر عناية بقوة أسلوبه وصقله من عمر ابن أبي ربيعة ، كما كان عمر أكثر منه قدرة على تصوير مشاعر المرأة ، وتوسعا فيه . ولعل مرجع الاختلاف في الاسلوب لديهما أن العرجي كان شاعرا وفارسا مقاتلا خرج للغزو والقتال ، بينما عاش عمر مسالما ، يحيا حياة رقيقة ، فجاء شعره سهلا في غير اسفاف .

قال متغزلا (على طريقة عمر بن أبي ربيعة)

١ ـ حوراً بعثن رسولا في ملاطفة ثقفا اذا غفل النساء الوهم
٢ ـ الى أن اتينا هدءاً اذا غفلت أحراسنا ، وافتضحنا ان هم علموا
٣ ـ فجئت أمشي على هول أجشمه تجشم المرء هولا في الهوى كرم
٤ ـ اذا تخوفتّ من شيء أقول له قد جفّ فامض بشيءٍ قدّر القلم
٥ ـ أمشي كما حركت ريح يمانية غصنا من البان رطباً طله الديم
٦ ـ في حلّةٍ من طراز السُّوس مشربةٍ تعفو بهدابها وأشمرت قدم
٧ ـ خلّت سبيلي كما خليت ذا عذرٍ اذا رأته عتاق الخيل ينتجم
٨ ـ وهن في مجلس خال وليس له عين عليهن أخشاها ولا ندم
٩ ـ حتى جلست ازاء الباب مكتتما وطالب الحاج تحت الليل مكتتم
١٠ ـ قالت كلابه من هذا ؟ فقلت لها أنا الذي أنت من أعدائه زعموا
١١ ـ أنا امرؤ جدَّ بي حُبٌّ فأعرضني حتى بليت وحتى شفَّني السقم
١٢ ـ لا تكليني الى قوم لو انهمّ من بغضنا اطعموا لحمي اذن طعموا
١٣ ـ وأنعمي نعمة تجزى بأحسنها فطالما مسَّني من أهلك النعم
١٤ ـ ستر المحبين في الدنيا لعلهم أن يحدثوا توبة فيها اذا أثموا
١٥ ـ هذا يميني رهن بالوفاء لكم فارضي بها ولأنف الكاشح الرغم
١٦ ـ قالت رضيت ولكن جئت في قمر هلا تلبثت حتى تدخل الظلم
١٧ ـ فبتُّ أسقى بأكواس أعل بها من بارد طاب منها الطعم والنسم
١٨ ـ حتى بدا ساطع للفجر تحسبه سنى حريق بليل حين يضطرم

العرجي (في الغـــزل)

" هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس " (١)

وقد لقب بالعرجي لانه من عرج الطائف ، وهي قرية من نواحي الطائف (٢) ويقول ابن قتيبة : " هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان ينزل بموضع قبل الطائف ، يقال له العرج فنسب اليه .. " (٣) ، وهو قرشي وقد اشتهر بالغزل .

وكان ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة في الغزل : قال أبو الفرج : " .. نحا نحو عمر بن أبي ربيعة وتشبه به فأجاد ، وكان مشغوفا باللهو والصيد حريصا عليهما قليل المحاشاة لاحد فيهما . ولم يكن له نباهة في أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه . وجيداء التي شبب بها هي أم محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي ينسب اليها ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما ، فكان ذلك سبب حبس محمد اياه وضربه له ، حتى مات في الحبس " (٤) .

ويوصف بالفروسية ، فضلا عما يوصف به من جمال الصورة ، فقد شارك في الجهاد مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم . يقول أبو الفرج " أن العرجي كان كوسجا في الحنجرة ، وكان صاحب غزل وفتوة ، وكان

---

(١) الاغاني ، ج ١ ، طبعة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية ، ص ٣٨٣

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٨٥

(٣) الشعر والشعراء ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٥٧٨

(٤) الاغاني ، ج ١ ، مرجع سابق ص ٣٨٥ ، ٣٨٦

يسكن بمال له في الطائف يسمى العرج ، فقيل له العرجي ونسب الى ماله • وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم ، وكان له معه بلاء حسن ونفقة كثيرة •(١) وقد قال في سجنه :

كأني لم أكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتي في آل عمرو

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر (٢)

ومن الاخبار المضحكة والمصنوعة في الوقت نفسه ماقيل من أن امرأة خزنت لوفاة عمر بن أبي ربيعة [illegible] لها : ان هناك شاعر قرشي آخر يسلك مسلكه ، وهو العرجي [illegible] أنست نفسا ، يقول صاحب الاغاني " فقيل لها : خفضي عليك ، فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه ، فقالت : أنشدوني من شعره فأنشدوها ، فمسحت عينيها وضحكت وقالت : الحمد لله لم يضيع حرمه •(٣)

والعرجي — وان كان يرسل الى المرأة وترسل اليه ، ويزورها خفية حين يغفل الرقباء — يزور تلك المرأة ومعها جمع من صويحباتها أحيانا ، كما كانت زيارة عمر لمحبوبته تتم بحضور جمع من صويحباتها ينصرفن عنها بعد زيارته • كما أن طبيعة المرأة ، وصورتها المرفهة هي الصورة نفسها عند عمر أو بعبارة أخرى تتشابه صورة المرأة وبناء القصيدة عند عمر والعرجي • وكأن الاخير قد استعار الشكل من عمر ،

---

(١) الاغاني ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ٣٨٦

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٧

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٨٧

العودة للغزل
(لعمر بن أبي ربيعة)

كان عمر حين أسن حلف ألا يقول بيت شعر الا أعتق رقبة • فانصرف عمر الى منزله يحدث نفسه ، فجعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها • فقالت له : ان لك لامرا ، وأراك تريد أن تقول شعرا فقال هذه الابيات التسعة : (١)

١ — تقول وليدتي لما رأتني	طربت وكنت قد أقصرت حينا
٢ — أراك اليوم قد أحدثت شوقا	وهاج لك الهوى داء دفينا
٣ — وكنت زعمت انك ذو عزاء	اذا ما شئت فارقت القرينا
٤ — بربك هل أتاك لها رسول	فشاقك أم لقيت لها خدينا
٥ — فقلت شكا الى أخ محب	كبعض زماننا اذ تعلمينا
٦ — فقص علي ما يلقى بهند	فذكر بعض ما كنا نسينا
٧ — وذو الشوق القديم وان تعزى	مشوق حين يلقى العاشقينا
٨ — وكم من خلة أعرضت عنها	لغير قلى وكنت بها ضنينا
٩ — أردت بعادها فصددت عنها	ولو جن الفؤاد بها جنونا

الشرح :

١ ، ٢ — الوليدة : الفتاة أو الصبية ، والامة — أحدث شوقا : أخذ في ... طربت : الطرب خفة تصيب المرء في حالتي الحزن والسرور

---

(١) الاغاني ، ج ١ ، ص ٤٥

أقصر : كف ، وهاج أثار . دفينا : أى مدفونا

لما رأتني الفتاة وقد ظهر على محياى ما كان يظهر من علامات الانفعال عند بداية قول الشعر ، وكنت قد كففت عن نظمه وقتا . قالت أراك قد بدأت شوقا جديدا ، وأثار الهوى ما كان قد اختفى من هواك القديم الذى يشبهه الشاعر بالداء وهو المرض .

٣ - ٤ زعم : قال ان صدقا وان كذبا ويغلب على استخدامها أن يكون فى الكذب . الخدين : الخدن : الصاحب والخدين : من يخادنك فى كل أمر ظاهر وباطن . العزاء : تعز : السلوى ، وتعز : أى تسلى وأنسي الهموم . القرين : المقارن والصاحب . والمقصود الحبيب هنا .
وكنت تزعم انك قادر على نسيان أى شخص أو أى حبيب ، فاذا ما شئت فراقه فارقته .

هل تقسم بربك أنه لم يأتك منها رسول ، فأثار شوقك ؟ أو وجدتها قد اتخذت لها صاحبا غيرك؟

٥ - ٦ فقلت شكا الى هواه أخ محب عاشق ، كما كنا نفعل فى بعض زماننا الماضى وأنت تعرفين هذا . وقص على ما يلقاه من هوى هند فذكرني ما كنت قد نسيته من سابق الهوى والعشق .

٧ - وذو الشوق القديم وأن تسلى وتصبر ، يثور شوقه حين يلتقى بغيره من العشاق .

٨ - خلة : الخليلة . قلى : كراهية . أعرضت عنها : صددت
ضنين : بخيل
تكم من خليلة قد صددت عنها وأعرضت ، لا كراهية منى لها فقد كنت بخيلا بها وما كنت مفرطا ، ومع ذلك قطعتها وصددت عنها .

٩ - ولكن أردت بعادها فصددت عنها ، ولو جن القلب بحبها جنونا ما عدت اليها .

فإن العذال

أبلغتها سلامى ، وكن رسولى اليها بهذا السلام ، فإن العذال اذا زرتها يشهرون بنا ويشيعون أمر هذا اللقاء بين الناس ، فيصبح أمرا منكرا قبيحا •

٩ ـ ١٠ ـ الاية : الامارة والعلامة

بدليل ما قالته فى مكان كنت لقيتها به يدعى : مدفع أكنان حيث وصفتنى بأننى المشهر أى المشهور شهرة قبيحة بالنساء •

المدرى : المشط

أشارت بالمشط الذى تستخدمه وقالت لاختها أهذا هو المغيرى الذى كان يتحدث فى شأنه الناس •

١١ ـ أطراه : أحسن الثناء عليه • أقبر : أموت أو أدفن فى القبر

أهذا الذى أحسنت الثناء عليه ، ووصفته فبالغت ، فوحياتك ما كنت لانسى مثله حتى أفارق الحياة • وهذا بيان من الشاعر لاعجاب المرأة به •

١٢ ـ نصه : وسير نصر ونصيص : جد ورفيع

ونص ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السير

فقالت لها نعم : انه هو ، ولكنه تغير ولا شك بسبب [illegible] السير وفى حر الهاجرة • وهذا دليل على رجولة الشاعر وفتوته •

١٣ ـ حال : تغير قد يتغير : أى يتغير حقا

لئن كان هو هذا الرجل الذى تشيرين اليه ، فقد تحول عن عهده ونسينا والانسان يتغير لا محالة •

١٤ ـ الشمس عارضت : علت فى السماء وقت الهاجرة واشتد حرها •

فيضحى : سار فى وقت الضحى ، وضحى : برز للشمس

يخصر : يبرد • والخصر : البرد •
رأت هذه المرأة رجلا اذا اشتدت حرارة الشمس وتوسطت السماء ،
فانه يتعرض لها مسافرا ، وفي الليل البارد يتعرض لشدة البرد
انه رجل مغامر لا يبالي حرا ولا بردا •

١٥ ـ جاب الارض : قطعها • وجواب : صيغة مبالغة
تقاذفت به فلوات : كثير القطع للفلوات فكل فلاة تسلمه لاخرى وكان
كل واحدة تقذف به الى صاحبتها •
الاشعث : المتفرق الشعر • والاغبر : الذي علاه الغبار أي التراب
هذا الرجل ملازم للسفر، مصاحب له ، كثير القطع للجهات المختلفة
مسافر فهو ينتقل من مكان الى آخر ومن صحراء الى أخرى ، وبسبب
سفره تشعث شعره وأغبر جسمه وأثوابه •

١٦ ـ الرداء : الثوب • المحبر : المزين بالنقوش والصور •
هذا الشاب رشيق ليس ضخم الجسم ، وكان العرب يريدون الشاب
أن يكون رشيقا ممشوق القوام • ويرتدي ثوبا محبرا جميلا •

١٠ــ أشارت بمدارها ، وقالت لاختها أهذا المغيري الذي كان يذكر؟

١١ــ أهذا الذي أطريت نعتا ، فلم أكن وعيشك أنساه الى يوم أقبر

١٢ــ فقالت : نعم لاشك غير لونه سرى الليل يحيى نصه والتهجر

١٣ــ لئن كان اياه لقد حال بيننا عن العهد والانسان قد يتغير

١٤ــ رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيضحى ، وأما بالعشى فيخصر

١٥ــ أخا سفر ، جواب أرض ، تقاذفت به فلوات ، فهو أشعث أغبر

١٦ــ قليلا على ظهر المطية ظله سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

الشرح :

١ ــ غاد : يذهب في الصباح • مهجر : السفر وقت الهاجرة •
مبكر : ذاهب في البكرة • رائح : ذاهب
هل ستترك آل نعم في الصباح الباكر ، أم في آخر النهار مع اقتراب غروب الشمس ــ والشاعر يخاطب نفسه بطبيعة الحال ، ولكنه تقليدا لسابقيه يخاطب شخصا خياليا ، أو كأن شخصا خياليا يخاطبه •

٢ ــ المقالة : القول أو الكلام ، ويريد أن ما يقوله الانسان يجعل غيره يعذره • تعذر : أعذر : أبدى عذرا ، وتعذر أي توجد له عذرا ه لتقضي حاجة نفسك التي لم تقضها ، ولم تعتذر لمحبوبتك عن بعادك اياها وقد تكون المقالة عذرا لصاحبها •

٣ ــ تهيم : هام يهيم هيما وهيمانا : أحب امرأة والهيام : كالجنون من العشق • جامع : شيء يجمعكما ولا الشمل جامع : أي أنه لن يجمعه وحبيبته • مقصر : قصر عن الامر قصورا وأقصر : أي انتهى •

أنت تحب " نعم " حبا شديدا ، ولكن شملكما لا يجتمع أبدا ، كما أن حبل المودة مقطوع بينكما كذلك ، وأنت لا تكف عن عشقك اياها وكأنه يريد أن يقول ان المباعدة بينهما لم تقبل حبه ، بل تزيده عشقا له .

٤ ـ دنت : قربت . يسلي : يجعلك تسلو حبها أي تنساه
نأيها : بعدها .

وان قربت نعم فلن ينفعك قربها ، لان قومها يحولون بينك وبينها فهي ليست امرأة مبذولة لمن يريد ، بل لها من قومها من يحميها ، كما أن بعادك لن يسليك حبها ، ومع ذلك فأنت لا تصبر على فراقها .

٥ ـ وهناك امرأة أخرى جاءت تعرض على وصلها ، وكأنها تريد أن تحتل مكان نعم في قلبي . ومثل هذه المرأة ، ينهاها عن ذلك عاقل ، لو أنها كانت ترجع عن غيها ، ولو كانت تفكر ، لانها لو فكرت تفكيرا صحيحا لعلمت أنني لا أبغي بنعم بديلا ، ولا يمكنني أن أحب سواها . والنهى : العقل .

٦ ـ يتمر : تمر وتمر : غضب وساء خلقه .
اذا زرت " نعما " وجدت أحد ذوى قرابتها كلما لقيني يبدى لي العداوة

٧ ـ عزيز عليه : أى اشتد عليه . ألم ببيتها : أزور بيتها
الشحناء : العداوة والبغضاء .
شديد على نفسه ومؤلم لها أن أزور بيتها ، وهو لهذا يخفي لي البغض الشديد ويظهر العداء .

٨ ـ ألكني اليها : كن رسولي اليها . يشهر يعرف ويظهر بصوره قبيحه ينكر . أى يصبح أمرا شديدا منكر

١٩ـ الغـرة : بياض فـى جبهـة الفـرس

المنسـوب : ذو النسـب • حسـرت : كشـفت

الجـلال : جمع جـل ، وهـو ما يوضـع تحـت السـرج •

تلألأ : تلألأ البـرق لمـع

٢١ ـ يراجعـنى : راجعـه مراجعـة أرجعـه عما يريـد

السجـم : سجـم الدمـع سجوما وسجمتـه العـين : قطـر دمعهـا وسـال كثيرا أو قليـلا •

٢٢ ـ رمـن : الـروم : الطلـب

اعجازهـن : أردافهـن

تقصـم : تتكسـر

الاحـــوص

هـو عبد اللـه بن محمـد بـن عبد اللـه بـن عاصـم بـن ثابـت بـن أبـــي الاقلح . لقب الاحـوص لحـوص كـان فـي عينيـه ، وهـو ضيـق يعـتري مؤخـرة العيـن وكنيتـه أبو عاصـم أو أبـو محمـد . وقالـوا كـان أحمـر دميمـا قصيرا (١) وجده حمى الدبـر ، وهـو بهـذ لابـن صحابـي شهيـد ، وكانـت لـه مكانـــة يحس بهـا فـي هـذا الشـأن ويبدو أنـه توفي فـي سنـة ١٠١ ـ ١٠٥ هـ .

وقـد أهلـت الاحـوص شاعريتـه لان يكـون نجمـا لامعـا فـي دور الغنـــاء خاصـة فـي دار جميلـة ، وكـان الاحـوص شديـد الافتتـان بهـا كثير الـتردد عليهـا ، لايكـاد يفـارق منزلهـا اذا جلسـت وكـانت هـي لـه مكرمـة .(٢)

وقد اشتهـر بسـوء الخلـق ، وقصتـه مـع المغنيـات معروفـة . والاحـوص شاعـر مـداح ، ويقـال انـه نفـي بسـبب غزلـه وأنـه أرسـل مـن سجنـه يطلـب الـى الخليفـة عمـر بـن عبد العـزيز اطـلاق سراحـه ـ فيقـول :

ألا صلة الارحـام أدنى الى التقـى	وأظهـر فـي أكفائـه لو تكرمـا
فمـا ترك الصنع الـذي قد صنعتـه	ولا الغيظ منى ليس جلداً وأعظمـا
وكنـا ذوي قربى لديك فأصبحـت	قرابتنـا ثديا أجدّ مصرمـا
وكنـت وما أملـت منـك كبـارق	لوى قطـره من بعد ما كان غيمـا

ويخرجـه الوليد مـن سجنـه ، وهكـذا يمضـي فـي حيـاته شاعـراً ، ولا تأتـــي

---

(١) شعـر الاحـوص الانصـاري ، تحقيـق ، عـادل سليمـان جمـال ، الهيئـة المصريـة العامـة للتأليف والنشـر ، القاهـرة ١٩٧٠ ، ص ١٠

(٢) المرجـع نفسـه ، ص ٢٥

في ديوانه قصائد تبين الزيارة على طريقة عمر بن أبي ربيعة ، ولكنها مقطوعات قصيرة (١) ويشير الى زيارة قديمة لمحبوبته في بيت واحد (٢) وأخرى (٣) وعنده قصيدة طويلة كأشعار العذريين (٤) يقول مثلا (٥)

هل في ادكار الحبيب من حرج أم هل لهمّ الفؤاد من فرج

أم كيف أنسى رحيلنا حرماً يوم حللنا بالنخل من أمج

يوم يقول الرسول قد أذنت فأتِ علي غير رقبة فلج

أقبلت أسعى الى رحالهم في نفحة من نسيمها الارج

ويبدو من شعر الاحوص الموجود بين أيدينا أنه كان يختلف عن صاحبيه عمر بن أبي ربيعة والعرجي ، فما كان يصرح بزيارته للمحبوبة أو بعبارة أخرى يطيل في ذلك ، ولكنه عرف بمصاحبته المغنيين والمغنيات وأنه تعلق بأكثر من واحدة منهن ، وأنه تغزل بامرأة تدعى ام جعفر (٦)

ويقال ان سبب سوء سيرته أنه كان يشبب بنساء أهل المدينة يقول ابن سلام : " .. كان الاحوص الشاعر يشبب بنساء أهل المدينة فتأذوا به ، وكان معبد وغيره من المغنيين يتغنون في شعره فشكاه قومه ، فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك . فكتب الى عامله بالمدينة أن يضربه

(١) شعر الاحوص الانصاري ، ص ١١٣ ، ١١٤

(٢) نفسه ، ص ١١٧

(٣) نفسه ، ص ١١٨ ، ١١٩

(٤) نفسه ، ص ١٣٦ ، ١٤٠

(٥) شعر الاحوص الانصاري ، مرجع سابق ، ص ٢١٧

(٦) طبقات الشعراء ، مرجع سابق ، ص ٦٥٧

مائة صوت . ويقيمه على البلس للناس ، ويسيره الى ذو ملك ، فقعل به . (١)

ولعل أغلب أشعاره لم يصل الينا ، ولكنه ولا شك ، قد وصم بالانحلال ربما لسلوكه الشخصي ، فان أشعاره ليس فيها انحلال ولذا فان وضعه مع عمر والعرجي ، انما هو عمل يقوم على الشهرة وهو بخلاف عمر والعرجي يمدح مدائح مطوله ويهجو كذلك (٢) ثم هو لم يكن ثريا ، بل ولا يدانيهما نسبا ، وان كان جده صحابيا جليلا ، ولذلك سوف نلاحظ أن غزله يخلو من التحلل الخلقي الا في بعض مواضع قليلة لا يعتد بها .

ثم هو في غزله اميل الى التقليدية ، ويرد النزل في أوائل بعض القصائد عنده كأنه مجرد تقليد ويتخلص بالطريقة القديمة منه الى المدح فيقول :

أمنزلتي سلْمَى على القدَم اسلما ... فقد هجتما للشوق قلبا متيما

وذكّرتما عصر الشباب الذي مضى ... وجِدّة وصل حبله قد تجذّما

واني اذا حلت ببيش مقيمة ... وحل بوج جالسا أو تتهما

يمانيّة شطّت ، فأصبح نفعها ... رجاء وظنا بالمغيب مُرَجَّما

أحب دنو الدار منها وقد أبى ... بها صدع شعب الدار الا تثلّما

بكاها وما يدري سوى الظن من بكى ... أحيا يُبكّي أم ترابا وأعظما

---

(١) طبقات الشعراء ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٦٥٦

(٢) شعر الاحوص الانصاري ، مصدر سابق ، ص ١٦٢ ، ١٦٣

فدعها وأخلف للخليفة مدحة ... تزل عنك بؤسى أو تفيدك أنعما (١)

وعلى هذا نقول أن الاحوص أكثر تقليدية من زميليه . ومع ذلك فانه غزله عفيف يمتلئ حرارة وصدقا . ويبتعد عن الاوصاف المادية .

ومن ذلك قوله :

يا موقد النار بالعلياء من اضم ... أوقد ، فقد هجت شوقا غير منصرم

ياموقد النار أوقدها فان لها ... سنا يهيج فؤاد العاشق الشدم

نار أضاء سناها اذ تشب لنا ... سعدية حلها يشفي من السقم

ولا ثم لامني فيها فقلت له ... قد شف جسمي ... وددم

فما طربت تشجو كنت تأمله ... ولا تأملت تلك الدار من أمم (١)

ويصف حبيبته بالبخل والتمنع والعفاف بقوله :

خليلي من غيظ بن مرة بلغا ... رسائل مني لا أزيدكما وقرا

ألا ليت شعري هل الى أم جحدر ... سبيل ، فأما الصبر عنها فلا صبرا

واني لاستشي الحديث لاجلها ... لاسمع منها وهي نازحة ذكرا

واعجب دار دارها غير انني ... اذا ما أتيت الدار ترجعني صفرا

هشيمة ألوى بالرداء على الحشا ... كأن لها من دونه مشعل جمرا (٢)

وهكذا يتضح أن الحدود الفاصلة بين غزل الشعراء حتى شعراء المديح كجرير والفرزدق والاخطل ليست حدود فاصلة ولا صارمة .

---

(١) شعر الاحوص الانصاري ، مصدر سابق ، ص ١٩٥ - ١٩٦

(٢) نفسه ، ص ٢٠١

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٠

المراجع والمصادر

- دكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد : شعر عبيد الله بن قيس الرقيات
ج ١ ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٧٧ .

- أبو الفرج الاصبهاني : الاغاني ، ج ٢ ، تحقيق ابراهيم الابياري ،
دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٩ .

* الاغاني ، ج ٢١ ، تحقيق عبد الكريم ابراهيم
العزباوي وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة ١٩٧٣ .

* الاغاني ، ج ٨ ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار
الشعب ، القاهرة ١٩٦٩ .

* الاغاني ، ج ١٢ ، مصور عن طبعة دار الكتب ، طبعة
دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٩ .

* الاغاني ، ج ٣ ، طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي
القاهرة ، د . ت .

* الاغاني ، ج ٤ ، طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي ،
القاهرة ، د . ت .

- أبو احمد العسكري : المصون في الادب

- دكتور احمد مرسي وآخرون : قصائد عربية ، دار الثقافة للطباعة والنشر
القاهرة ١٩٧٨ .

- دكتور [illegible]ـمد الحوفـى : الغـزل فى العصـر الجاهلـى ، ط ٣ ، دار نهضة مصـر للطباعـة والنشـر ، القاهـرة ١٩٧٦ .

- دكتـور شكـرى فيصـل : تطـور الغـزل بين الجاهليـة والاسـلام ، ط ٦ ، دار العلـم للملايين ، بيـروت ، لبنـان ١٩٨٣ .

- دكتـور شوقـى ضيـف : العصـر الاسـلامى ، ط ٦ ، دار المعارف ، القاهـرة ١٩٧٦ .

* التطـور والتجديـد فى الشعـر الامـوى ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهـرة ١٩٧٣ .

- الشهرستانـــى : الملـل والنحـل ، ج ١ ، تحقيق عبد العزيـز محمـد الوكيـل ، مؤسسة الحلبى وشركـاه ، القاهـرة ١٩٦٨ .

- دكتـور صـلاح الدين الهـادى : اتجاهـات الشعـر فى العصـر الامـوى ، مكتبـة الخا[illegible] ، القاهـرة ١٩٨٦ .

- دكتـور طـه حسـين : تاريـخ الا[illegible] العربـى ، ج ١ ، دار العلم للملاييـن بـيروت ١٩٧٠ .

* فى الادب الجاهلـى ، ط [illegible] ، دار المعـارف ، القاهرة ١٩٨٤ .

* حديث الاربعـاء ، ج ١

- عبـاس محمـود العقـاد : جميـل بثينـة ، دار الشعب ، القاهرة ، د . ت .

- عبد العزيـز الرفاعـى : كعب بن مالـك الصحابـى الاديـب ، منشـورات دار الرفاعى للنشـر والطباعـة والتوزيـع ، الريـاض ١٩٨٢ .

- دكتور عبد القادر القط : فى الشعر الاسلامى والاموى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٧٦

- القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ، الوساطة ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ١٩٧٦ .

- كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى ،ج ١ ، ط ٣ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٤ .

- كارلو نلينو : تاريخ الاداب العربية ، دار المعارف ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٠

- محمد بن سلام الجمحى : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ج ١ ، مطبعة المدنى ، القاهرة ١٩٧٤ .

- دكتور محمود زينى : دراسات فى أدب الدعوة الاسلامية .

- المبرد : الكامل ،ج ٢ ، موسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ١٩٨٥ .

- دكتور يحيى الجبورى : شعر المخضرمين ، موسسة الرسالة ، بيروت ط ٢ ، ١٩٨١ .

- دكتور نجيب البهبيتى : تاريخ الشعر العربى حتى أواخر القرن الثالث الهجرى دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٨٢ .

- دكتور نعمان أمين طه : جرير . حياته وشعره ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٨ .

- دكتور غسان التاشى : النزعة الاسلامية فى الشعر الاموى ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٠ .

- ديوان الاعشى ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، لبنان ١٩٦٨ .
- ديوان جرير ، ج ١ ، تحقيق دكتور نعمان محمد امين طه ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٩ .
- ديوان عنترة ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٧٨ .
- ديوان عروة بن الورد والسموءال ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .
- ديوان امرئ القيس ، ط ٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٤ .
- شرح ديوان جميل ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ، د . ت .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ .
- الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، المكتبة الشعبية ، بيروت ، لبنان ، د . ت .
- ديوان مجنون ليلى ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ١٩٧٩ .
- شعر الاحوص الانصاري ، تحقيق عادل سليمان جمال ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ .

